

روايات
مصرية للجيب
ملف المستقبل
سري جداً !!؟؟
٥٠
الأسطورة
د. نبيل فاروق
باسل
Www.dvd4arab.com



المؤلف

د. نبيل فاروق

الأسطـــورة

- كيف تنشأ الأساطير فى تاريخ الشعوب ؟
- ما سر ذلك الكوكب المجهول ، الذى اقتحم مجموعتنا الشمسية ؟
- تُرى .. أينجح (نور) وفريقه فى حلّ لُغز الكوكب العاشر ، أم تصبح قصتهم مجرد أسطورة ؟
- اقرإ التفاصيل المثيرة ؛ واشترك مع (نور) فى حلّ اللُّغز .

٥٠

الثمن فى مصر

وما يعادل دولارا أمريكيا فى سائر الدول العربية والعالم

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

العدد القادم : الخلية القاتلة



١ ــ الكوكب المجهول ..

رفع القائد الأعلى للمخابرات العملية المصرية عينيه ، يتأمل فى هدوء الرائد (نور الدين) الذى عبر باب مكتبه بخطوات واسعة ثابتة ، وتوقّف أمام مكتبه مباشرةً ، وهو يرفع يده بالتحية العسكريَّة ، قائلاً فى قوة واحترام :

ــ الرائد (نور الدين) فى خدمتك يا سيِّدى .

أشار القائد الأعلى فى هدوء إلى المقعد المقابل لمكتبه ، وقال فى صوت عميق رصين :

ــ اجلس يا (نور) ، فالمهمة التى سأكلّف فريقك إياها هذه المرة ، تحتاج إلى كثير من الشرح والتفاصيل .

جلس (نور) ، وهو يسأله فى اهتمام :

ــ أهو لغز علمىّ بالغ الغموض يا سيِّدى ؟

ابتسم القائد الأعلى ، وهزّ كتفيْه ، وهو يقول :

ــ إنه ليس كذلك فى الواقع ، ولكنها مهمة استكشافية ، تحتاج إلى فريق علمىّ متطوِّر ، يمكنه إحراز نتائج دقيقة ، وسريعة فى الوقت ذاته ، وهذا يتوافر فى فريقك يا (نور) .

اعتدل (نور) ونمَّت ملامحه عن الاهتمام ، وهو يقول :

ــ كلِّى آذان صاغية يا سيِّدى .

ضغط القائد الأعلى أحد الأزرار العديدة ، المتراصّة أمامه ، فتكوّنت فى منتصف الحجرة ، وأمام عينى (نور) ، صورة هولوجرافية مجسّمة للمجموعة الشمسية كلّها ، وهى تسبح وسط الفضاء اللانهائى فى بطء وانتظام ..

حبس (نور) أنفاسه ، وهو يتأمّل فى المشهد الرائع فى انبهار ، وسرت النّشوَة فى أعماقه ، وهو يشاهد عَظَمة خلق الله (سبحانه وتعالى) وندّت من صدره آهة إعجاب ، ارتسمت لها ابتسامة واسعة حنون على شفتى القائد الأعلى ، الذى غمغم :

ــ أمَا زلت عاشقًا للطبيعة يا (نور) ؟

أشار (نور) إلى الصورة الهولوجرافية ، وتمتم دون أن يزايله الانبهار :

ــ وهل هناك مشهد أجمل من الكواكب ، وهى تدور حول الشمس ، وتسبح فى فلك مدروس منتظم ، دون أن يختلّ توازنها لحظة واحدة .

عقد القائد الأعلى حاجبيه ، وقال :

ــ هذه هى مشكلتنا فى الوقت الحالى يا (نور) .

التفت إليه (نور) ، وغمغم فى دهشة :

ــ ماذا تعنى يا سيّدى :

ضغط القائد الأعلى زرًا آخر ، وهو يشير إلى الصورة الهولوجرافية ، قائلاً :

ــ تابع المشهد يا (نور) .

ضاقت حدقتا (نور) ، وهو يتابع المشهد فى اهتمام ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، وهو يشير بدوره إلى الصورة المجسّمة ، قائلاً :

ــ هناك خلل ما فى الصورة يا سيّدى ، فقد عددت عشرة كواكب فى مجموعتنا الشمسية ، لا تسعة(*) .

قال القائد الأعلى فى هدوء :

ــ تابع يا (نور) .

عاد (نور) يتابع المشهد بمزيد من الاهتمام ، وقد تركّز بصره على الكوكب العاشر ، الذى بدا وكأنه يتحرّك فى خط مستقيم ، متجه فى سيره نحو الشمس ، بدلاً من أن يدور حولها كما يحدث فى كل المجرّات ، فهتف (نور) فى دهشة :

ــ ياله من مسار عجيب !!

غمغم القائد الأعلى فى عمق :

(*) المجموعة الشمسية تحوى تسعة كواكب ، هى بالترتيب ــ تبعًا لقربها من الشمس : عطارد ــ الزهرة ــ الأرض ــ المريخ ــ المشترى ــ زحل ــ أورانوس ــ نبتون ــ بلوتو .

— بل هو مسار بالغ الخطورة يا (نور) .

وبضغطة زرٌ أخرى تلاشى المشهد المجسَّم ، واعتدل القائد الأعلى فى مقعده ، وهو يقول :

— لقد اقتحم هذا الكوكب المجهول مجموعتنا الشمسية منذ أسبوع واحد ، وأثار مساره المستقيم دهشة علماء الفلك فى العالم أجمع ، وعكفوا على دراسته فى دقة واهتمام ، إلى أن كشف عالم فلك مصرى أن مسار الكوكب مخيف للغاية ..

صمت القائد الأعلى لحظة ، ربّما ليتمالك انفعاله الشديد ، قبل أن يستطرد :

— لو أن هذا الكوكب لم يغيّر مساره العجيب ، الذى يجعله شبيها بمذنّب بطىء ضخم ، ولو أن حسابات عالم الفلك المصرى سليمة ، فإن هذا الكوكب سيتسبّب بجاذبيته المشابهة لجاذبية الأرض تقريبًا ، واتجاهه الذى لا يحيد أبدًا ، فى أن يلتقى بمدار كوكب الأرض ، ويرتطم به ، فيتحطّم كلاهما تمامًا .

ارتجف جسد (نور) ، وتوترت عضلات وجهه فى شدة ، فعقله الذى يكره الدمار فى أبسط صورة ، لم يتحمل مجرد تخيل دمار كوكب الأرض بأكمله ، ومصرع البلايين من قاطنيه ، وبات من العسير عليه أن يغمغم فى صوت مختنق ، غلبه الانفعال :

— أهى نهاية حتميّة ؟

مطّ القائد الأعلى شفتيه ، وبدا مهمومًا فى شدة ، وهو يقول :

— ليس حتى هذه اللحظة ، فلقد عُقِد اجتماع سرِّىّ طارئ بالأمس ، لهيئة الأمم المتحدة ، حضره نخبة من أعظم علماء العالم ، لبحث كيفية تفادى تلك الكارثة ، التى لم يواجه العالم أبشع منها من قبل ، ولقد أكّد أحدهم أنها ليست المرة الأولى ، التى يزور فيها هذا الكوكب المجهول مجموعتنا الشمسية ، بل إنه فعل ذلك منذ عشرات القرون ، واحتك بكوكب الأرض ، وكادت الكارثة تحدث قبل أن تنشأ الحضارات المعروفة ، ولكن الأرض نجت بأعجوبة ، ولم يترك الحادث سوى أسطورة مشوَّهة ، تناقلتها الأجيال(*) وبعد دراسة موسّعة ، ونقاش طال عشر ساعات كاملة ، وقع الاختيار على المخابرات العلمية المصرية ، لما لها من تاريخ حافل بالانتصارات للاضطلاع بتلك المهمة .

غمغم (نور) فى حيرة :

— وما المفروض أن نفعله بالضبط ؟

(*) حقيقة واقعية .

صمت القائد الأعلى لحظة ، ثم أجاب :

ـ العلماء يعدّون الآن خطة لنسف هذا الكوكب ، وتحطيمه تمامًا ، قبل أن يصل إلى الأرض ، ولكنهم يحتاجون إلى مجموعة من المعلومات عن صلابته ، ونوع تربته ، ولا يمكنهم انتظار وصوله إلى نقطة مثالية ، وإلّا ضاعت فرصة تحطيمه ، قبل أن يصل إلينا .

صمت لحظة أخرى ، ثم أردف فى حزم :

ـ وهذه مهمة فريقك يا (نور) .

عقد (نور) حاجبيه ، وغمغم فى اهتمام وقلق :

ـ هل تعنى يا سيّدى .. ؟

قاطعه القائد الأعلى فى قوة :

ـ نعم يا (نور) ، ستنطلق وفريقك فى رحلة إلى الفضاء .. إلى الكوكب المجهول .

★ ★ ★

٢ ـ فضاء بلا نهاية ..

عبر صاروخ الفضاء (مصر ٣) الغلاف الجوى لكوكب الأرض ، وانطلق نحو هدفه ، وسط فضاء شاسع ، مترامى الأطراف ، يغصّ بالنجوم اللامعة المتألّقة ، وبداخله تنهّدت (سلوى) فى عمق ، وقالت وهى تحاول التظاهر بالمرح :

ـ ها هى ذى عطلة إجبارية فى الفضاء .

مطّ (رمزى) شفتيه ، وقال :

ـ إنها أول مهمة عادية توكل إلى فريقنا .

غمغم (محمود) فى توتّر :

ـ ومن أدراك أنها مهمة عاديّة ؟ .. ربّما كانت أكثر مهامّنا صعوبة .

ضحك (نور) ، وهو يقول :

ـ لست أتوقّع ذلك يا رفاق ، فكلُّ ما علينا هو إحضار بعض النتائج فحسب .

ابتسمت (سلوى) ، وقد طمأنها هدوء (نور) ، وقالت :

ـ إنها فرصة مناسبة لإتمام اختراعى .

سألها (رمزى) فى اهتمام :

ـ أى اختراع هذا ؟

أجابه (نور) فى بساطة :

ـ المترجم الآلى .

رفع (محمود) حاجبيه فى دهشة ، وقال :

ـ ولكن المترجم الآلى موجود منذ نهايات القرن العشرين .

عقدت (سلوى) حاجبيها ، وقالت فى حِدَّة :

ـ اختراعى سيجعل المترجم الآلى الموجود حاليًا مجرد لعبة أطفال .

ضحك (رمزى) وهو يقول :

ـ إلى هذا الحد ؟!

قالت (سلوى) فى اهتمام :

ـ بلا شك .

ثم فتحت حقيبتها الكبيرة ، وأخرجت منها خوذة تشبه ما يرتديه الطيارون ، وجهاز كمبيوتر صغيرًا ، وقالت وهى تشير إلى الخوذة فى فخر :

ـ هذا هو المترجم الآلى الجديد .

غمغم (محمود) فى سخرية :

ـ خوذة ؟!

هتفت (سلوى) فى حِدَّة :

ـ ليست مجرد خوذة عاديَّة .

ورفعت الكمبيوتر بيديها ، وهى تستطرد :

ـ هذا الكمبيوتر الصغير يحوى كل لغات العالم ، القديمة والحديثة ، الدارجة منها والميِّتة ، وهذه هى أول مرة فى العالم كله يحوى كمبيوتر واحد كل هذه المعلومات ، وهذا الكمبيوتر الصغير يثبَّت فى الخوذة ، التى تحوى فى جانبيها سماعتين حسّاستين للغاية ، وفى مقدمتها ميكروفون صغير فائق الحساسية .

تبدّلت لهجة (محمود) من السخرية إلى الاهتمام ، وهو يقول :

ـ يبدو أنه اختراع جدير بالاهتمام .

هتفت (سلوى) فى حماس :

ـ بلا ريب ، فمن يرتدى هذه الخوذة ، يمكنه أن يتعامل مع أى مخلوق على كوكب الأرض بلا متاعب ، بل إنه يستطيع أن يلتقى مع أحد قدماء المصريين ، ويتناقش معه لساعات حول الفنون والآداب المصرية القديمة ، دون معرفة سابقة لأحدهما بلغة الآخر .

أطلق (رمزى) صفيرًا طويلاً من بين شفتيه ، وهتف فى حماس مماثل :

ــ إنه اختراع رائع حقًّا .. كيف يعمل يا (سلوى) ؟

أجابته (سلوى) ، وقد أسعدها اهتمامهم باختراعها :

ــ إنه نوع من الكمبيوترات الصوتية يا (رمزى) ، فحينما يتحدّث إليك شخص ما ، وأنت ترتدى الخوذة ، تتلقى السمّاعتان صوته ، وتنقلانه إلى الكمبيوتر داخل الخوذة ، فيقوم بتعرّف اللغة واللهجة ، ويترجمها فى سرعة فائقة إلى اللغة العربية ، ثم ينقل الترجمة بصوت صاحب اللغة نفسه إلى أذنى لابس الخوذة ، كما لو أن الشخص الذى أمامه يتحدّث العربية ، ثم يجيب مرتدى الخوذة عبر الميكروفون الصغير ، الذى ينقل الصوت إلى الكمبيوتر نفسه ، فيعكس العملية ، ويحوّل الكلمات العربية إلى اللغة التى تمت برمجتها من قبل ، فتخرج الكلمات لصاحب اللغة الأخرى بلغته ، وبصوت صاحب الخوذة فى الوقت نفسه .

ساد الصمت لحظة ، ثم ابتسم (نور) ، وقال وهو يربّت على كتف (سلوى) :

ــ صدقينى يا عزيزتى .. إنه أعظم اختراعات علم الترجمة الحديثة ، ماذا أطلقت عليه يا تُرى ؟

تهللت أساريرها ، وهى تقول فى فخر :

ــ أطلقت عليه اسم ابنتنا يا (نور) (نشوى ١)

اتسعت ابتسامته ، وهو يسألها :

ــ ولماذا الرقم (واحد) ؟

صاحت فى سعادة :

ــ لأنه سيكون الجيل الأوّل للمترجمين الأولين من هذا النوع يا (نور) .

ثم أردفت فى فخر :

ــ ومن يدرى ؟ .. ربّما تحوّل إلى (نشوى ٢) ، قبل أن نصل إلى هذا الكوكب المجهول .

★ ★ ★

انهمكت (سلوى) فى تطوير اختراعها ، وأخذ (محمود) يعاونها فى اهتمام ، فى حين اقترب (رمزى) من (نور) ، وسأله :

ــ ألن نلتقىَ بطاقم القيادة يا (نور) ؟

ابتسم (نور) ، وقال :

ــ هذا مستحيل يا عزيزى (رمزى) ، إلا إذا كنت تحاول دراسة الحالة النفسية للآلات المبرمجة .

عقد (رمزى) حاجبيه ، وهو يغمغم فى دهشة :

ــ آلات مبرمجة ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ نعم يا (رمزى) .. إن رحلتنا كلها من وإلى الكوكب المجهول ، ستتم على نحو آلى ، فهذا الصاروخ مزوّد ببرنامج انطلاق فضائى ، يجعله يهبط على سطح الكوكب بعد ستة أيام من مغادرة الأرض ، وهذه فترة قياسية ، بالنسبة للسرعات التى كانت تنطلق بها الصواريخ فى القرن العشرين ، قبل اختراع الوقود الأمينى ، وستكون أمامنا ستة أيام أخرى بالضبط ، لجمع كل المعلومات الممكنة عن الكوكب ، وبعدها سيعود الصاروخ بصورة آلية إلى الأرض .

تمتم (رمزى) فى قلق :

ــ وماذا لو أن مهمتنا لم تنته فى هذه الأيام الستة ؟

أجابه (نور) فى هدوء :

ــ سيكون علينا بذل أقصى جهد ممكن ، لإتمامها فى هذه المدة ، وإلّا رحل الصاروخ دوننا يا (رمزى) .

ساد الصمت بينهما لحظة ، ثم أطلق (رمزى) ضحكة عصبية قصيرة ، وقال :

ــ لقد أزعجنى هذا حقًا فى البداية يا (رمزى) ، ولكن القائد الأعلى شرح لى سبب ذلك ، والواقع أن هيئة الأمم المتحدة اشترطت هذا الأمر بالذات ؛ لأن ثمانية عشر يومًا هى كل المدة التى يمكن منحنا إياها ، وساعة أخرى زائدة قد تفسد برنامج إنقاذ الأرض ، ولقد خشوا أن تدفعنا عاطفتنا ، حال تعرض أحدنا للخطر ، على نحو أو آخر ، بأن نقضى وقتًا أطول فى الكوكب ، فوضعوا هذا البرنامج لإجبارنا على العودة فى الوقت المحدود .

سأله (رمزى) فى حَنَق :

ــ وكيف وافقت على هذا الأسلوب يا (نور) ؟ .. إنه يشفّ عن عدم الثقة .

ابتسم (نور) ابتسامة شاحبة ، وقال .

ــ هأنتذا تغلّب انفعالاتك العاطفية يا (رمزى) ، وتتجاهل مصير كوكب الأرض بأكمله ، وهذا يؤكد أنهم على حق .

ارتبك (رمزى) ، وغمغم :

ــ ربّما كنت محقًّا يا (نور) .

ثم راوده خاطر مفاجئ ، فعاد يسأل (نور) فى اهتمام :

— وماذا لو حدث أى عطل فى البرنامج ، ولم يعد الصاروخ فى موعده ؟

اختلس (نور) النظر نحو (سلوى) و(محمود) ، ثم عاد يتطلّع إلى (رمزى) ، قائلاً :

— فى هذه الحالة سيتم تنفيذ خطة تدمير الكوكب ، دون انتظار النتائج يا (رمزى) ، وسيعمل العالم كله على نجاح الخطة ، حتى لو تحوّلت أجسادنا إلى أشلاء متناثرة .

وتطلّع عبر نافذة الصاروخ الزجاجية ، قبل أن يردف فى عمق :

— حتى لو تناثرنا فى فضاء بلا نهاية .

★ ★ ★



٣ — الهبوط ..

مرّت الأيام الستة بطيئة ، متثاقلة ، شديدة الملل على أفراد الفريق ، حتى أنهم جميعًا تنفسوا الصُعَداء ، وأطلقوا زفرات الارتياح ، حينما أعلن كمبيوتر الصاروخ وصولهم إلى الكوكب المجهول ، وبدأ دراسة سطحه ، استعدادًا للهبوط ..

أصغى الجميع فى اهتمام إلى كمبيوتر الصاروخ الناطق ، وهو يقول بصوته المعدنى الرتيب :

— (مصر ٣) يقترب من الغلاف الجوى للكوكب المجهول ... التحليلات الأولية تؤكد وجود غلاف جوى مشابه للأرض ، مع زيادة طفيفة غير ملحوظة فى نسبة الأكسوجين فى هوائه .. الجاذبية أيضًا مماثلة لجاذبية كوكب الأرض .. المناخ بارد ، صالح لحياة المخلوقات البشرية .. الحجم ثلاثة أرباع حجم الكرة الأرضية .. سرعة دوران الكوكب حول نفسه مناسبة .. يمكن الهبوط دون استخدام أية أجهزة معاونة .

هتف (رمزى) فى اهتمام :

— يبدو أن هذا الكوكب المجهول مشابه لكوكب الأرض يا رفاق ، باستثناء حجمه .

سأله (محمود) :

ــ هل سيعنى هذا وجود مخلوقات فى هذا الكوكب ؟

أثار سؤاله قلقًا مباغتًا فى قلوب الجميع ، وغمغمت (سلوى) فى خوف :

ــ يا إلهى !! .. سؤالك هذا يرعبنى يا (محمود) .

قال (نور) ، وهو يعقد حاجبيه مفكّرًا :

ــ ولكنها نقطة صالحة للدراسة يا (سلوى) ، فمن الواضح أن هذا الكوكب يحوى الكثير من المياه ، ما دامت خواصه تشبه خواص كوكب الأرض .

بدأ الصاروخ ــ فى هذه اللحظة ــ هبوطه ، واخترق الغلاف الجوى للكوكب المجهول ، فأزاح أفراد الفريق تساؤلاتهم جانبًا ، واقتربوا جميعًا من نافذة الصاروخ ، يتطلّعون إلى الكوكب ، الذى سيهبطون على سطحه بعد لحظات ..

كانت سماء الكوكب الزرقاء تؤكد تشابه جوّه مع جوّ الأرض . ولكن التكوين الجغرافى له كان عجيبًا ، فقد كان الكوكب كله تقريبًا عبارة عن محيط ضخم ، فيما عدا جزيرة واحدة كبيرة ، يمر مركزها بخط استوائه تمامًا ، وغمغم (رمزى) :

ــ إنه كوكب مائى تقريبًا ، وهذا يؤكد وجود نوع من أنواع الحياه عليه ، فالقاعدة العلمية المعترف بها فى العالم أجمع تقول : « حيثما وُجِدَ الماء وُجِدَتْ الحياة » .

سرى القلق إلى صوت (محمود) ، وهو يقول :

ــ أتعشّم ألا تكون حياة من النوع الذى يهدّد حياتنا نحن

قال (نور) فى هدوء ، تحمل نبراته الاهتمام والترقّب :

ــ سيتّضح كل شىء عمّا قريب يا رفاق .

هبط الصاروخ (مصر ٣) فى هدوء على سطح الكوكب ، واستقر ساكنًا ، وهو يلفظ البقية الباقية من عوادم احتراق وقوده الأمينى ، حتى صمت هديره تمامًا ، وسيطر الصمت على المنطقة كلها ..

تطلّع أفراد الفريق إلى منطقة الهبوط فى اهتمام ، وقالت (سلوى) :

ــ إنه يشبه منطقة صخرية جبلية مهجورة ، من تلك التى تنتشر على كوكبنا .

لم يعقب أحدهم على قولها فترة طويلة ، ثم زفر (نور) زفرة قويّة ، وقال :

ــ هيّا يا رفاق .. دعونا نبدأ مهمتنا .

★ ★ ★

تراصَّت أجهزة الفحص بسرعة حول الصاروخ ، ووقف الرفاق على أرض الكوكب الصلبة ، يتنفسون هواءه الشبيه بهواء الأرض فى عمق ، ويتطلّعون إلى الجبال الممتدة على مدى البصر ، قبل أن تقول (سلوى) :

ـ عجبًا !! .. لولا ثقتى أننا فوق سطح كوكب مجهول ، لأقسمت إننا فى صعيد مصر على أقصى تقدير .

التقط (رمزى) حصاة صغيرة من الأرض ، وغمغم :

ـ هذا صحيح يا (سلوى) .. حتى الصخور تبدو متشابهة .

قال (نور) فى هدوء :

ـ حسنًا يا رفاق .. هذا الحديث يبدو سابقًا لأوانه ، فستحدده أجهزة الفحص التى تركناها هنا ، أمّا نحن فسنذهب لتفقد الكوكب .

اتجه الجميع إلى مركبة فضائية صغيرة ، تشبه سيّارة (نور) الصاروخية ، وقال (نور) وهوّ يضغط أزرار قيادتها فى هدوء :

ـ أكان من الضرورى أن تحضرى معك مترجمك الآلى يا (سلوى) ؟

أجابته فى صرامة :

ـ لا أعتقد أنه يحتلّ مكانًا كبيرًا يا (نور) .

ضحك وهو يقول :

ـ بالطبع لا يا عزيزتى ، فقد نلتقى ببعض المصريين القدماء ، وعندئذ سيكون مترجمك الآلى مفيدًا .

عقدت حاجبيها فى ضيق ، فى حين ضحك (رمزى) و(محمود) فى مرح .. وانطلقت المركبة الفضائية فى رحلتها ..

★ ★ ★

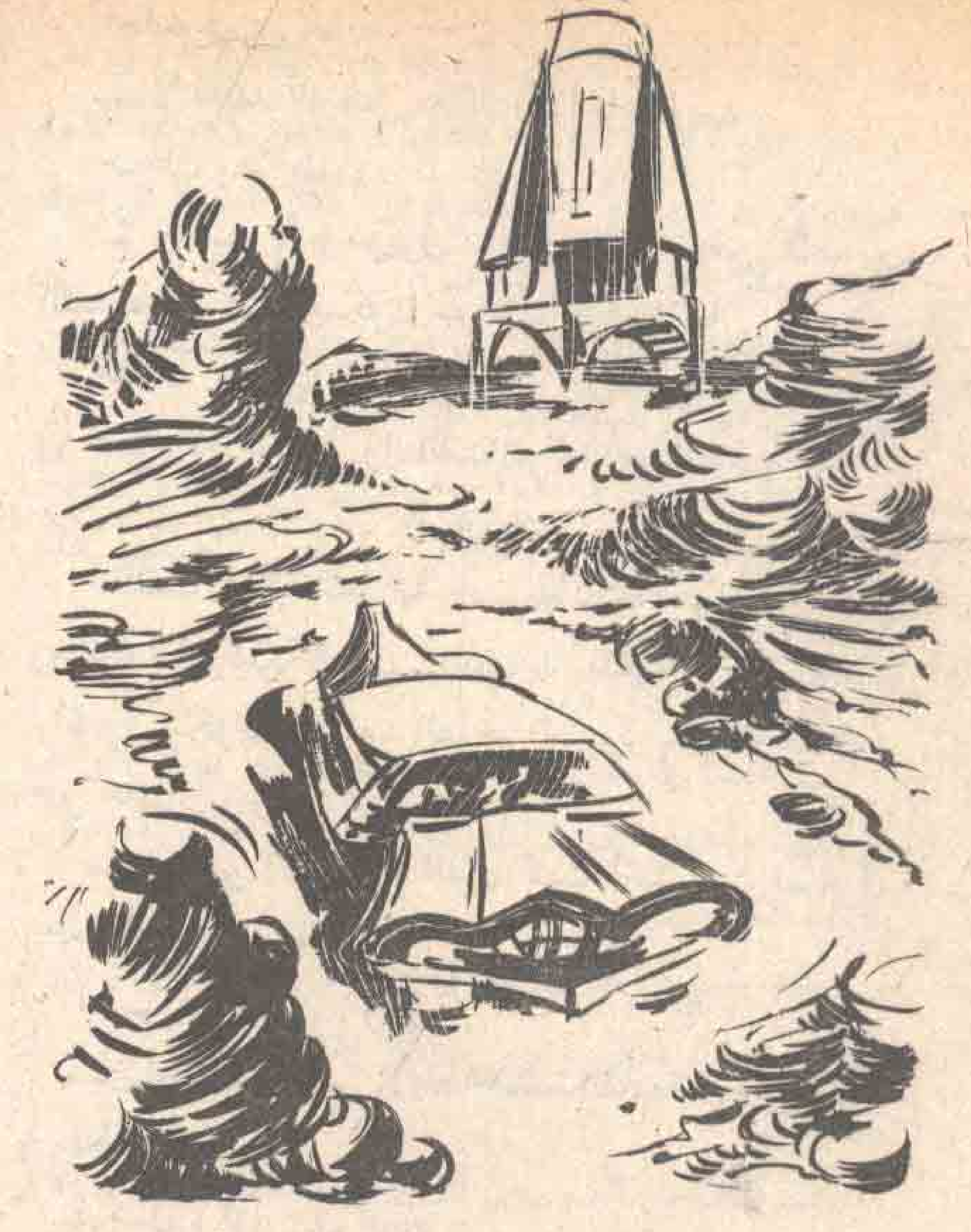
انطلقت المركبة الفضائية ، بسرعة بطيئة نسبيًا ، بين ربوع ووديان الكوكب المجهول ، الذى بدا مقفرًا ساكنًا ، تتشابه أركانه فى سكونها وجلاميد الصخر المنتشرة بها فى كل مكان ، حتى هتف (رمزى) فى ضجر :

ـ يا إلٰهى !! .. وأنا الذى كنت أخشى أن تستغرق رحلتنا أكثر من ستة أيام !

ابتسم (محمود) ، وقال :

ـ يبدو أننا سنقضى الأيام الخمسة القادمة فى ملل شديد يا رفاق .

ثم سأل (نور) فى اهتمام :



انطلقت المركبة الفضائية ، بسرعة بطيئة نسبيًا ،
بين ربوع ووديان الكوكب المجهول ..

ـ ألا يمكن تعديل برنامج الصاروخ ، ليعود إلى الأرض مساء اليوم يا (نور) ؟

ضحك (نور) ، وهو يقول :

ـ لا أعتقد هذا يا (محمود) ، فـ .....

بتر عبارته فجأة ، حينما صرخت (سلوى) :

ـ هذا مستحيل !! هل ترون ما أرى ؟

اتسعت عيون الجميع ذهولاً ، وهم يحدّقون فى النقطة التى أشارت إليها (سلوى) .. فهناك ، على بعد عشرات الأمتار منهم ، وقف جيش صغير من البشر .. نعم من البشر .. وهم يرتدون ثيابًا من جلود الحيوانات ، وخوذات من العظام ، وفى أيديهم سيوف مشهرة ..

صاح (نور) فى ذهول :

ـ هل أصابنا الجنون ؟ ..

كانت مركبة الفضاء الصاروخية تندفع نحو الجيش البشرى الصغير فى سرعة ، وارتفعت قدمه إلى دوّاسة الإيقاف بسرعة ، ولكن .....

قبل أن يضغط (نور) هذه الدوّاسة ، أتى الجيش الصغير عملاً بالغ الغرابة ، فقد أطلق بغتة صيحة مخيفة ، واندفع

أفراده نحو المركبة الفضائية فى جسارة مذهلة ، وهم يشهرون سيوفهم ، كأنهم يقاتلونها .

صرخ (محمود) فى ذهول وذعر :

ـ هذا كابوس .. كابوس بشع .

وضغط (نور) الدوّاسة بكل ما يملك من قوة ، وارتطمت المركبة ببعض أفراد الجيش الصغير ، ومالت جانبًا فى قوّة ، واحتكت بصخرة ضخمة ، فارتفع جانبها الأيمن على نحو مخيف ، ثم اصطدمت بصخرة ثانية ، ودارت حول نفسها على نحو مخيف ، قبل أن تتوقف تمامًا ، وانقض الجيش البشرى العجيب ..

* * *



٤ ـ القتال العجيب ..

لم يكن هناك مجال للدهشة ، أو التفكير ، أو حتى محاولة الفهم ..

كان واضحًا من الوحشية المرتسمة على وجوه المهاجمين ، أنه لا بديل عن القتال ..

القتال من أجل الحياة ..

وكان (نور) هو المقاتل الوحيد ، وسط الفريق ..

كان (رمزى) يعانى ذهولاً شديداً ، و (سلوى) ترتجف رعبًا وفزعًا ، و (محمود) يجمع ما بين الانفعالين ، ولم يتردّد (نور) لحظة واحدة ..

انتزع مسدّسه الليزرىّ ، وقفز خارج مركبة الفضاء المحطّمة ، وقدّر ، فى جزء من الثانية ، عدد المهاجمين بمائة فرد على الأقل ، ولكن هذا لم يوهن من عزمه وشجاعته ، فأطلق أشعة مسدسه الليزرىّ على أقرب المهاجمين إليه ..

انطلق خيط الليزر القاتل نحو المهاجمين ، وأصاب بعضهم إصابات مباشرة ، فتراجع الآخرون فى ذعر ، وهم يحدّقون فى (نور) بذهول ، ثم رفع أحدهم ذراعه ، وصرخ بكلمات

غير مفهومة ، فعادوا يهاجمون (نور) ، وقد تحوّلت صرخاتهم إلى هتافات ساخطة قوية ..

تراجعت (سلوى) فى ذعر ، وهى تشاهد الرجال الضخام الجثة ، المفتولى العضلات ، ببشرتهم الداكنة ، وهم يطبقون على زوجها ، الذى عجز مسدسه الليزرىّ عن درئهم ، فتراجع بدوره ، وهو يواصل إطلاق أشعة الليزر فى يأس ..

وفجأة ارتفع أزيز المترجم الآلى ، وانبعثت من سمّاعته أصوات ثائرة ، تقول بلغة عربية واضحة :

ـ أطبقوا عليه .. لا تدعوه يهزمكم ..

سألها (رمزى) فى ذهول :

ـ ما هذا .

حدّقت فى الخوذة بذهول مماثل ، ثم غمغمت :

ـ إن المترجم الآلى يعمل .. إنهم يتحدّثون لغة معروفة .

ثم أردفت فى رعب :

ـ إنها اللغة السنسيكريتية .. أقدم اللغات المعروفة على وجه الأرض .

هتف (محمود) فى ذهول :

ـ ولكننا لسنا على كوكب الأرض .

والتفتت عيونهم إلى (نور) ، الذى أحاط به المهاجمون ، وصاح (رمزى) فى حزم :

ـ لن نتركه يقاتل وحده .

انتزع كل منهم قطعة من المركبة الفضائية المحطمة ، وقفزوا إلى جوار (نور) ، واتخذ القتال العجيب أبعادًا جديدة ..

كانت طاقة مسدس (نور) الليزرىّ قد نفدت عن آخرها ، فأعاد المسدس إلى غمده ، ولكم أحد المهاجمين فى قوة ، ثم استدار يلكم آخر ، ويركل ثالثًا ، فى حين هوت (سلوى) بالقطعة المعدنية التى تمسك بها ، على رأس مهاجم رابع ، وقاتل (رمزى) و (محمود) فى يأس وإصرار ..

كان أفراد الفريق يقاتلون فى بأس وشراسة ، ولكن الأمثال القديمة تقول فى وضوح : « الكثرة تهزم الشجاعة » ..

وهذا ما كان ..

على الرغم من إصرار أبطالنا وعنادهم ، أطبق عليهم المهاجمون أخيرًا ، وجذبوهم فى قسوة وخشونة إلى رجل عملاق الجثة ، صارم الملامح ، مفتول العضلات ، يقف فوق صخرة كبيرة ، عاقدًا ذراعيه أمام صدره ، وهو يرتدى ثوبًا

من الجلد القديم ، وقد أطلق لحية كثيفة ، وبدا مخيفًا بحاجبيه الكثَّيْنِ ، ونظراته القوية ، وشعره الأشعث المتناثر ..

تطلّع إليه أفراد الفريق المكبّلين فى ذهول ، وكأنهم يشاهدون شبحًا انبعث من أعمق أعماق التاريخ ، وغمغم (رمزى) :

ــ ربّاه !! .. كأنّما عدنا إلى عصور ما قبل التاريخ .

رفع العملاق ذراعه بغتة ، وأطلق صيحة قوية ، ارتجفت لها قلوب أعضاء الفريق ، ورددها خلفه الجيش الصغير بهتاف قوى ، بلغ عنان السماء ، ثم التفوا حول أعضاء الفريق ، وجذبوهم فى وحشية إلى صخرة قريبة ، دفعوا إليها (سلوى) ، التى حاولت مقاومتهم فى قوة ، ولكن أحدهم جذبها من شعرها فى قسوة ، فأرقدها على الرغم منها فوق الصخرة ، وتقدّم أحدهم يتحسس عنقها ، وهى تتطلع إليه فى رعب ، ثم رفع سيفه عاليًا ، وهو يطلق صيحة مخيفة ، فصرخ (نور) فى جنون :

ــ يا إلٰهى !! إنهم سيقتلونها .

كان الرجل يهوى بسيفه بالفعل على عنق (سلوى) ، التى

جحظت عيناها ، واحتبست صرخة رعب هائلة فى حلقها ، وقفز الألم والذعر إلى عيون أفراد الفريق ..

★ ★ ★

لم يشعر (نور) فى حياته كلها بمثل هذا الألم واليأس ، الذى شعر به وهو يقاوم مكبّليه ، ويتطلّع فى ذعر إلى الرجل ، الذى هوى بسيفه على عنق زوجته (سلوى) ..

كان من الفظيع أن يرى زوجته ، وهى تلقى حتفها على يد هؤلاء المتوحشين ، الذين أنجبهم هذا الكوكب الدموىّ المجهول ، وهو عاجز حتى عن الدفاع عنها ..

ارتفعت دماء الألم واليأس إلى عينيه ، وصنعت أمامهما غشاوة قاتمة ، وكأن جسده يقاوم رؤية مصرع زوجته ..

ومن أعماقه انبعث نداء ضارع :

ــ رحماك يا رب الكون !! رحماك !!

وفجأة انبعث صوت أنثوى صارم ، يهتف بكلمة غامضة ، بلهجة تفيض حزمًا وقوة ..

وتسمّرت يد الرجل قبل أن يمسّ نصل السيف عنق (سلوى) ، واكتسى وجهه بشحوب شديد ، وتراجع الجيش الصغير فى ذعر ، واتسعت العيون رعبًا ، حتى أن الرجل الذى

يمسك شعر (سلوى) قد تركها ، وهو يرتجف ، واتجهت العيون جميعها إلى نقطة ما خلف أفراد الفريق ، وارتفعت من أفواه الجيش البدائى همهمات خائفة مرتعدة ، اشتركت كلها فى كلمة واحدة :

ـ هيدا .. هيدا ..

رفعت (سلوى) رأسها ، بعد أن تحرّرت ، فى دهشة ، والتفت (نور) و (رمزى) و (محمود) إلى حيث يتطلع الجيش البدائى فى دهشة مماثلة ، ولكن دهشتهم لم تلبث أن تحوّلت إلى ذهول شديد ..

فهناك .. فوق أعلى صخور المنطقة كانت هناك امرأة .. أجمل امرأة وقعت عليها عيونهم ، فى حياتهم الحافلة كلها ..

كانت كتلة مجسّمة من الجمال بكل صوره على الرغم من ملامحها الصارمة ..

وجهها أميل إلى الاستطالة ، تتألق ببشرتها البيضاء المشربة بحمرة تشف عن حيويّتها وقوتها ، وعيناها واسعتان ، فى لون السماء الملبّدة بالغيوم ، يطل منهما حزم شديد ، لم تنجح رموشها الذهبية الطويلة فى إخفائه ، وقد انضمت شفتاها الحمراوان فى حزم مماثل ، لم يستر جمالها المبدع ، فى حين انسدل

شعرها كشلال من الذهب على كتفها ناعمًا كالحرير ، لا يعوقه سوى ذلك الشريط الجلدى ، الذى التف حول جبهتها ، لينعقد خلف رأسها ، بنفس لون الثوب الجلدى الذى ترتديه ، والذى يحيط به نطاق متألق عند وسطها ، يتدلّى منه سيف لامع برّاق ..

لم يكن جمال المرأة وحده مبعث ذهولهم ، وإنما كان ذلك الجواد الشاهق البياض القوى الذى تمتطيه ، والذى وقف فى عظمة لا تقل عن عظمة راكبته ، وقد برز صدره القوى ، وانسحب وسطه فى رشاقة تثير الإعجاب ..

ومن جانبى الجواد برز جناحان كبيران ، يخفقان حوله فى بطء وقوّة ..

كان ذلك الجواد الطائر ، الذى تحدّثت عنه الأساطير الإغريقية القديمة ، والمعروف باسم (بيجاز) .

* * *

٥ ــ هيدا ..

خيَّم الصمت على المنطقة كلها ، حتى بدا وكأن الجميع تحوّلوا إلى تماثيل من الصخر ، ولم يقطع ذلك الصمت إلّا صوت خفقات جناحي الـ (بيجاز) البطيئة ، والجميع يتطلّعون فى ذهول إلى المرأة ، حتى رفعت هى ذراعها فى بطء ، وقالت كلمة صارمة ، فازداد شحوب الجيش ، ونقلوا أبصارهم إلى العملاق ، الذى أمر بقتل (سلوى) منذ لحظات ..

ومن العجيب أن العملاق ، على الرغم من قامته المشوقة ، وعضلاته المفتولة البارزة ، قد بدا أكثر شحوبًا من الجميع ، واكتست ملامحه القاسية بخوف مبهم ، وهو يهتف بكلمات متعثّرة مرتبكة ، ويلوّح بذراعيه فى عصبية ، وكأنما يحاول شرح موقفه للمرأة ، التى استمعت إليه فى جمود ، دون أن تفقد ملامحها صرامتها ، ثم نطقت بكلمة بطيئة حازمة ، أسرع بعدها أفراد الجيش البدائى يحرّرون أفراد الفريق ، وغمغم (محمود) فى مزيج من الدهشة والحيْرة :

ــ ماذا يحدث فى هذا الكوكب العجيب ؟ .. أنقلنا الصاروخ إلى أرض الأساطير ؟

أمسكت (سلوى) بكف (نور) فى قوة ، وقالت فى انفعال :

ــ (نور) .. إنهم يتحدّثون اللغة السنسيكريتية القديمة ، لقد ترجم جهازى حديثهم .

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يتطلّع إليها فى دهشة ، ويردّد فى حيْرة :

ــ اللغة السنسيكريتية القديمة ؟!

ثم عاد يرفع عينيه إلى المرأة ، التى بادلته نظرة باردة صارمة ، فغمغم :

ــ هناك وسيلة للتفاهم إذن .

واستدار فى هدوء ، وتقدّم من مركبة الفضاء بخطوات واثقة ، والجميع يتابعونه فى دهشة ، ثم التقط خوذة (سلوى) ، ورفعها إلى رأسه ..

تحرّكت أيدى البدائيين نحو مقابض سيوفهم ، وهم يزمجرون فى شراسة ، ولكن المرأة عادت تهتف بعبارة صارمة ، فتلاشت شراستهم ، وهم يتطلّعون إلى (نور) فى شك وحذر ، فى حين وضع هو الخوذة على رأسه فى هدوء ، وعاد فى خطوات واثقة إلى جوار رفاقه ، ورفع رأسه نحو المرأة ، وقال فى قوّة :



ولكن المرأة عادت تهتف بعبارة صارمة ، فتلاشت شراستهم ، وهم يتطلعون إلى (نور) فى شك وحذر ، وحين وضع هو الخوذة على رأسه ..

ـــ أنا الرائد (نور) ، من المخابرات العلمية المصرية على كوكب الأرض ، وهؤلاء رفاقى ، ونحن لم نأت للقتال .. لقد جئنا فى مهمة سلمية .

سرت همهمة دهشة بين الجمع البدائى ، ورفعت المرأة حاجبيها لحظة ، ثم ضاقت عيناها وهى تتطلع إلى (نور) لحظة ، قبل أن تقول فى هدوء :

ـــ الرائد (نور) ؟! .. المخابرات العلمية ؟! .. كوكب الأرض ؟! .. من الواضح أنك تحسن الحديث بلغتنا أيُّها الشاب ، أو أن هذا الشىء الذى تضعه على رأسك يفعل ذلك ، ولكن كلماتك غير مفهومة فى الوقت ذاته .

قام المترجم الآلى بمهمته فى كفاءة ، فى نقل كلمات المرأة إلى اللغة العربية ، وشعر (نور) بعظمة اختراع (سلوى) ، وهو يجيب فى هدوء :

ـــ ربّما بدت كلماتى غامضة ، ولكنَّ تفسيرها يحتاج إلى شرح طويل ، والمهم الآن هو أننا لم نقصد معاداة هذا الشعب .

انتصبت قامتها فوق الجواد المجنّح فى عظمة ، وضربت صدرها بقبضتها ، وهى تقول :

ـــ هؤلاء شعبى .. (التيتانوس) .. وأنا ملكتهم

(هيدا) ، وستشرح لى كل ما لديك فى قصرى .. فى (أندروميد) .

قالت عبارتها ، ولكزت جوادها المجنّح ، ففرد جناحيه القويّين ، وصهل فى قوة ، ورفع قائمتيه الأماميتين ، ثم انطلق يشق عنان السماء ، وجناحاه يخفقان فى عظمة ، وتابعه الجميع فى دهشة بالغة ، حتى اختفى براكبته فى الأفق ، فغمغم (رمزى) فى انفعال :

ــ إننا حقًا فى أرض الأساطير .. لم يعد لدىّ شك فى هذا .

★ ★ ★

كان الموقف بأكمله بالغ الغرابة ، يبعث الدهشة والحَيْرة فى النفوس ، وعلى الرغم من أن معاملة الجيش البدائى لأفراد الفريق قد تبدّلت ، وشابها الاحترام ، بعد وصول (هيدا) ، إلّا أن العملاق بدا ساخطًا مستاءً ، وكأنما حرمه ظهور (هيدا) من سفك دماء (نور) وفريقه ، وبدا شديد التبرم ، وهو يقودهم عبر الجبال المتشابهة إلى (أندروميد) ، مقر حكم (هيدا) بلا شك ..

وفى الطريق شرح (نور) لرفاقه حديثه مع (هيدا) ، فهتفت (سلوى) فى دهشة :

ــ وماذا يعنى كل هذا يا (نور) ؟ .. وكيف وصل هؤلاء الرجال إلى هنا ؟ .. وكيف تأتّى لهم أن يتحدّثوا بلغة بالغة القدم على كوكب الأرض ؟

مطّ (نور) شفتيه ، وقال :

ــ سيأتى وقت لتفسير هذه الألغاز يا (سلوى) ، المهم الآن أن ننجح فى إقناع (هيدا) بمهمتنا السلمية .

غمغم (محمود) فى حَنَق :

ــ وهل تطلق على مهمتنا لقب (السلمية) يا (نور) ؟ هل نسيت أننا قدمنا إلى هنا لجمع المعلومات ، تمهيدًا لنسف هذا الكوكب على رءوس قاطنيه ؟

تمتم (نور) فى جزع ، وكأنما تنبه إلى طبيعة مهمته لأوّل مرّة :

ــ يا إلهى !! .. هذا صحيح .

التفت (محمود) إلى (رمزى) ، وسأله فى حدّة :

ــ ثم هذا الاسم (تيتانوس) .. أليس اسم أحد الأمراض المعروفة فى عالم الطب يا (رمزى) ؟

بدا (رمزى) شديد القلق والتوتُّر ، وهو يقول :

ــ هذا صحيح يا (محمود) ، ولكن اسم المرض نفسه

مقتبس من اسم مخلوقات شهيرة فى الأساطير الإغريقية القديمة .

التفت إليه (نور) فى دهشة ، وسأله فى اهتمام :

ـ إنك تثير فضولى بشدة يا (رمزى) ، ماذا تعرف عن أسطورة (التيتانوس) هذه ؟

قال (رمزى) فى صوت متوتر ، عصبىّ :

ـ إنها الأسطورة الإغريقية القديمة يا (نور) ، عن منشأ العالم والآلهة ، ففيها يبدأ الخلق بـ (شواز) .. أى الفضاء ، وبعده تأتى (جايا) .. أى الأرض ، حيث تنبثق من الفضاء ، وفيها يولد النهار والليل والسماء والبحر ، وتأتى عمالقة بشعة تدعى (سيكلوب) ذات عين واحدة فى منتصف الجبهة ، وهنا ينشأ (التيتانوس) ، الذين هم شعب من المقاتلين العمالقة ، تفوق قوتهم الجبال والزلازل والبراكين ، ومنهم ينشأ (خرونوس) إله الزمن ، الذى يتميّز بقسوة لا حدود لها ، حتى يأتى (زيوس) ، فيهزم (التيتانوس) ، وبعد كارثة قوية ، لا مثيل لها ، يسود النظام تحت قيادة (زيوس)(*) .

سأله (نور) فى انفعال :

(*) أسطورة شهيرة .

ـ وهل هناك وجود لـ (هيدا) فى تلك الأسطورة أيضًا ؟

هزّ (رمزى) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لا يا (نور) ، ولكن هناك (أندروميد) فى أسطورة أخرى ، وهى حسناء أنقذها (برسيوس) بن (زيوس) من مخالب تنين بحرى كان يحتجزها(*) .

غمغم (نور) فى دهشة :

ـ يا إلهى !! .. لقد بدأت أميل إلى تصديق وصفك لهذا الكوكب ، بأنه أرض الأساطير يا (رمزى) .

هتفت (سلوى) فى انبهار :

ـ إنكم لم تروا شيئًا بعد .. انظروا .. هذه هى الأساطير الحقيقية .

كانوا قد عبروا ممرًّا ضيّقًا فى هذه اللحظة ، وسط جيش (هيدا) ، فتطلّعوا إلى حيث أشارت (سلوى) ، وهتفوا فى آن واحد :

ـ يا إلٰهى !! .. ياله من مشهد !!

فأمامهم كان يتألق قصر (هيدا) ، وسط تجويف صخرى هائل ، وكان كله من الذهب .. الذهب الخالص .

★ ★ ★

(*) واحدة من أشهر الأساطير الإغريقية القديمة .

تلفت (رمزى) حوله فى انبهار ، يتأمل الحجرة التى وضعتهم فيها (هيدا) ، ثم هتف فى دهشة :

ــ يا إلهى !! .. إننى لم أر كل هذا القدر من الذهب الخالص ، بل إننى أكاد أقسم أن كوكب الأرض كله ، لا يحوى هذا القدر من الذهب .

أجابه (نور) فى اهتمام :

ــ هذا صحيح يا (رمزى) ، فكل شىء هنا مصنوع من الذهب : المقاعد ، الأثاث ، الأوانى ، وحتى أغطية الفراش مطرّزة بخيوط من الذهب الخالص ، ولكن هذا يعنى أن معدن الذهب لا قيمة له فى هذا الكوكب البدائىّ .

غمغم (محمود) :

ــ هذا صحيح .

سألته (سلوى) فى توتر :

ــ ماذا تظنهم فاعلين بنا يا (نور) ؟

قبل أن يجيبها دخل العملاق الغاضب إلى حجرتهم ، وتحدث بكلمات محنقة ، فأسرع (نور) يضع خوذة الترجمة الآلية على رأسه ، ويقول فى هدوء :

ــ معذرة يا سيّدى .. هلّا كرّرت قولك ؟

عقد العملاق حاجبيه الكثين فى غضب ، وقال فى صرامة ، نقلها المترجم الآلى إلى أذنى (نور) :

ــ (هيدا) تريد مقابلتك وحدك فى حجرتها أيها الشاب .

سأله (نور) فى اهتمام :

ــ ولماذا وحدى ؟

أجابه العملاق فى حِدّة :

ــ هذا شأنها .. لا أحد يمكنه مناقشة أوامر (هيدا) أيها الغريب .

تبادل (نور) نظرات خاصّة مع رفاقه ، ثم تبع العملاق فى هدوء ..

كانا يعبران بهوًا ذهبيًّا متألقًا ، حينما سأله (نور) :

ــ اسمى الرائد (نور) ، فمن أنت ؟

أجابه العملاق ، وهو يحدجه بنظرة متشككة :

ــ أنا (كوندور) قائد جيوش (هيدا) .

عاد (نور) يسأله فى اهتمام :

ــ وهل هناك أعداء تخشاهم (هيدا) ، حتى يكون لها جيوش ؟

عقد (كوندور) حاجبيه فى ضيق ، وغمغم فى لهجة تشف عن سخطه :

— (هيدا) لا تخشى أحدًا ، لقد هزمت كل أعدائها فى عهد جدّى الثالث ، ولكن الحكمة تقضى وجود جيش قوىّ دائمًا .

أوقفه (نور) بغتةً ، وهو يسأله فى دهشة :

— لحظة يا (كوندور) .. ماذا تعنى بأنها هزمت كل أعدائها فى عهد جدّك الثالث ؟

ظهر الضجر على وجه (كوندور) ، وهو يقول :

— ولماذا يثير هذا الأمر اهتمامك أيها الغريب ؟ .. لقد كان هذا منذ عشرات السنين .. إننى لم أكن حتى قد وُلِدْتُ بعد ، حينما فعلت هى ذلك .

هتف (نور) ، وقد تعاظمت دهشته :

— ماذا تعنى بحقّ السماء ؟ .. إن (هيدا) لا تبدو عجوزًا إلى هذا الحدّ .

تلفّت (كوندور) حوله فى خوف ، وكأنه يخشى أن يكون هناك من يستمع إلى حديثهما ، ثم مال نحو (نور) ، هامسًا :

— أغلق فمك إذا أردت أن تبلغ شيخوختك يا فتى .

سأله (نور) فى حِدّة :

— و (هيدا) ؟! .. ألا تبلغ شيخوختها أبدًا ؟

ارتجف صوت (كوندور) ، وبدا الخوف مجسّمًا فى ملامحه ، وهو يقول فى اضطراب :

— (هيدا) لا تشيخ أبدًا .. الكل يذهبون وتبقى (هيدا) .. أنت لا تعرفها يا فتى .. إن (هيدا) هى الوحيدة التى هزمت (خرونوس) .. إن (هيدا) لا تموت .. لا تموت أبدًا .

* * *



٦ ــ الخالدة ..

ظلت كلمات (كوندور) تدوّى فى رأس (نور) ، وهو يتأمل جناح (هيدا) ، الملكى الفاخر ، الذى يتألّق بكل ما يحويه من ذهب خالص ، ويبرق كل ركن منه فى ضوء المشاعل ..

كان أثاث المكان أنيقًا ، على الرغم من بدائيته الواضحة ، ولكن (نور) لم ينتبه إلى أناقته ؛ بسبب شرود ذهنه مع عبارة (كوندور) الأخيرة ..

بدت له (هيدا) فى هذه اللحظة أسطورة جديدة ، تضاف إلى عجائب كوكب الأساطير ..

أسطورة امرأة خالدة ، لا يهزمها الزمن أبدًا ..

كان غارقًا فى لجة أفكاره ، حينما جاء صوت (هيدا) من خلفه هادئًا ، وهى تقول فى نعومة :

ــ هل أعجبك جناحى أيها الغريب ؟

التفت (نور) إلى مصدر الصوت فى بطء وهدوء ، ولكن قلبه لم يلبث أن خفق فى قوة ، واستحال هدوءه دهشةً وانبهارًا ، حينما وقعت عيناه على (هيدا) ..

كان أقل ما يمكن أن توصف به فى هذه اللحظة هو أنها فاتنة ..

كانت تتطلع إليه فى هدوء ، بوجه صاف متألق ، وعيناها تتفحّصانه فى إمعان ، وبدا شعرها الذهبىّ المسترسل أشد تألّقًا من جدران حجرتها الذهبية ، وكانت ترتدى ثوبًا أبيض فضفاضًا ، موشى بخيوط من ذهب برّاق ، وتدلى من أذنيها قرطان من معدن أسود لامع ، وتحلّى جيدها بعقد له حبّات من اللون والنوع نفسه ..

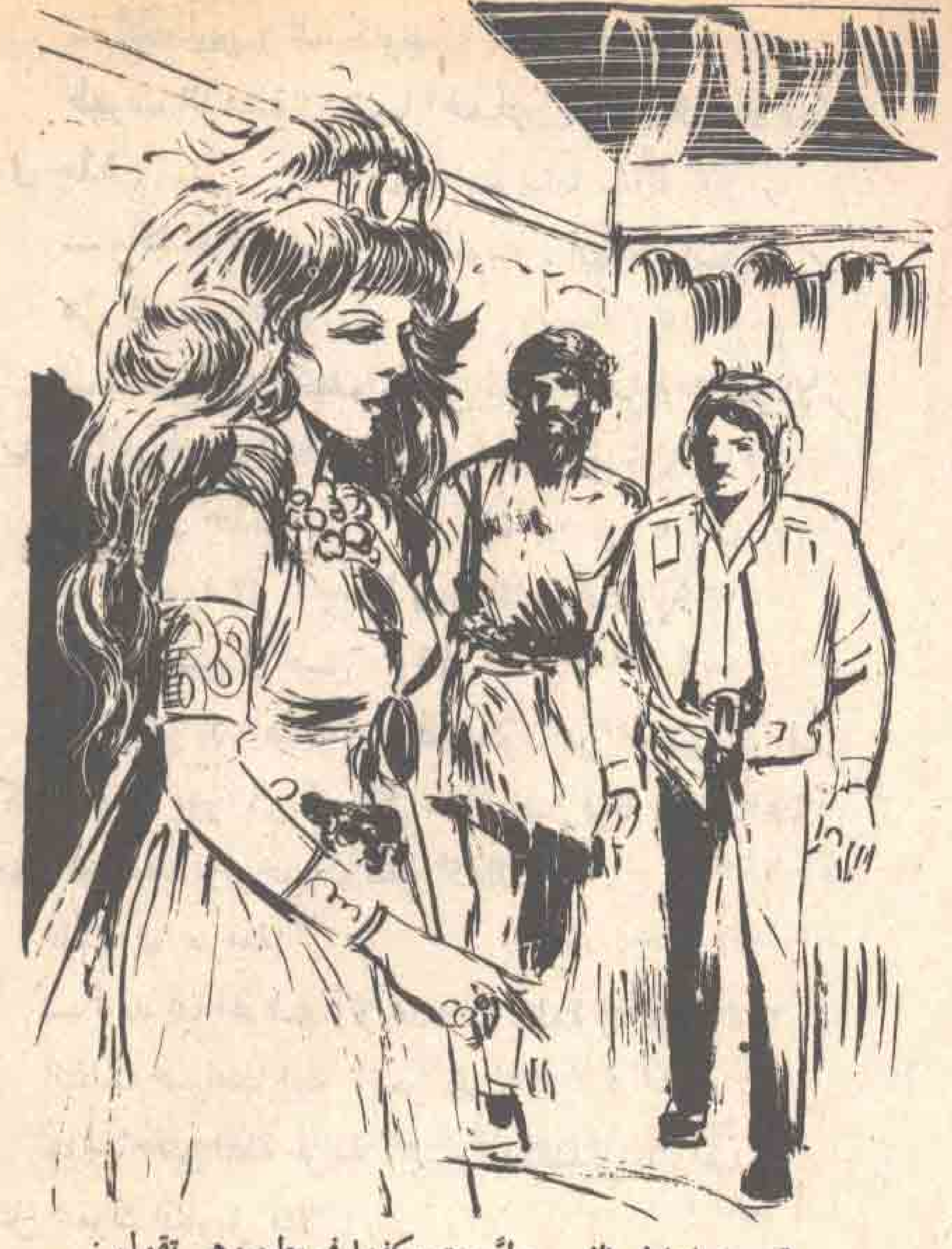
كانت شديدة الفتنة ، حتى أن (نور) تساءل فى هذه اللحظة ، عن حقيقة قصة (كوندور) ، فى حين اقتربت هى منه فى هدوء ، وقالت :

ــ اسمك (نور) .. أليس كذلك ؟

خيّل إليه أن عينيها تنفذان إلى أعماقه ، وتسبران أغواره ، فنصب قامته فى اعتداد ، وشبّك كفيه خلف ظهره ، وهو يقول :

ــ هذا صحيح يا (هيدا) .

ابتسمت ابتسامة لم ترق له ، وهى تشير إلى خوذة الترجمة الآلية ، قائلةً :



برقت عيناها فى ظفر ، ولوَّحت بكفها فى بطء وهى تقول :
ـ كل شىء فيكم عجيب يا (نور) .. ملابسكم .. لغتكم ..

ـ من الواضح أنك الزعيم ، وأن ذلك الشىء الذى ترتديه هو الذى يجعلك تتحدّث لغتنا .. هل أنا مصيبة فيما أقول ؟

أجابها فى هدوء واقتضاب :

ـ نعم .

برقت عيناها فى ظفر ، ولوَّحت بكفها فى بطء ، وهى تقول :

ـ كل شىء فيكم عجيب يا (نور) .. ملابسكم .. لغتكم .. وهذا الشىء الذى تضعه على رأسك .. من أين أتيتم به ؟ ولماذا ؟

أشار (نور) إلى نافذة الجناح ، وقال :

ـ لقد جئنا من الفضاء .. من كوكب آخر فى هذه المجموعة الشمسية .

عقدت حاجبيها فى ضيق ، وقالت فى صرامة :

ـ مازالت كلماتك غير مفهومة يا (نور) .. أريد قصة يمكننى تصديقها وإلّا ....

تراقصت ابتسامة خبيثة على شفتيها ، قبل أن تردف :

ـ وإلّا اعتبرتكم من أعداء شعبى .

ضاقت حدقتا (نور) ، وهو يقول فى هدوء :

ـ أتقصدين (السيكلوب) ؟
ظهرت الدهشة فى عينيها الجميلتين لحظة ، قبل أن تسأله فى حِدَّة :
ـ ماذا تعرف عن (السيكلوب) أيُها الشاب ؟
هزّ كتفيه ، وقال :
ـ لست أدرى كيف يمكننى شرح الأمر ، ولكن الأمر يبدو كما لو أننا نحيا داخل أسطورة قديمة و .....
قاطعته فى حِدَّة :
ـ أسطورة ؟! .. وماذا تعنى كلمة أسطورة ؟
عقد حاجبيه فى ضيق ، وقال :
ـ اسمعى يا (هيدا) .. قد يكون من العسير أن أفسّر كثيرًا من الأمور ، ولكن كل ما أستطيع قوله هو أننا هنا فى مهمة سلمية ، وأرجو أن تظل كذلك .
قالت فى صرامة :
ـ أريد أن أعرف أولاً ما تعنيه كلمة (أسطورة) .
انتقلت صرامتها إليه ، وهو يقول :
ـ إنها تعنى قصة غريبة ، عسيرة التصديق يا (هيدا) .. مثل عمرك الطويل مثلاً .

تألّقت عيناها لحظة ، ثم افترّ ثغرها العذب عن ابتسامة غامضة ، وهى تقول :
ـ إذن فأنت تعلم هذا أيضًا ؟!
أجابها فى هدوء :
ـ نعم يا (هيدا) .. وهو يبدو لى أمرًا عجيبًا .
ظلّت تتأمّله فترة فى برود ، ثم أشاحت بوجهها ، وسارت فى بطء إلى فراشها ، وجلست على طرفه فى عظمة ، ثم رفعت عينيها إلى (نور) ، وسألته بغتة :
ـ ماذا تعرف عن الأرض المحرَّمة ؟
غمغم فى دهشة :
ـ الأرض المحرَّمة ؟! .. لست أدرى عنها شيئًا بالطبع .
تنهّدت فى ارتياح ، وعادت تنهض من فراشها ، وتسير إلى نافذة الجناح ، وتتطلّع منها فترة ، قبل أن تقول ، دون أن تلتفت إلى (نور) :
ـ ماذا تريدون من شعبى يا (نور) ؟
تنهّد (نور) بدوره ، وقال :
ـ كل ما نريده هو أن تسمحى لنا بالانصراف فى سلام يا (هيدا) .

خيّل إليه أن صوتها يحمل رنة ساحرة ، وهى تقول :

ــ والثمن ؟

سألها فى دهشة :

ــ أى ثمن يا (هيدا) ؟

استدارت إليه فى جدّة ، وقالت فى عصبية :

ــ ثمن خروجكم من مملكتى أيها الغريب .

عادت ملامحه تكتسى بالصرامة ، وقال :

ــ ما الثمن الذى تريدينه يا (هيدا) ؟

تألقت عيناها فى انفعال عجيب ، وهى تقول فى لهفة امتلأ بها صوتها :

ــ الثمن هو جوهرة الخلود أيها الشاب .. أحضر لى جوهرة الخلود من الأرض المحرّمة ، وحينما تضعها فى يدى سأسمح لك بالرحيل أنت ورفاقك .

وحلت الشراسة محل اللهفة فى صوتها ، وهى تردف فى تهديد واضح :

ــ وإلّا فلن أسمح لكم بالرحيل أبدًا .. ستبقون إلى الأبد فى أرضى هذه .

★ ★ ★

٧ ــ ثمن العـودة ..

ألقت (سلوى) نفسها بين ذراعى (نور) ، وتفجّرت بالبكاء ، وهى تهتف :

ــ (نور) .. لقد تصوّرت لحظة أنك لن تعود إلينا أبدًا .

ربّت (نور) على كتفها فى حنان ، وجفّف دموعها ، وهو يقول :

ــ هأنذا إلى جوارك يا عزيزتى .

سأله (رمزى) فى اهتمام :

ــ ماذا كانت تريد منك (هيدا) يا (نور) ؟

شرح لهم (نور) لقاءه بـ (هيدا) بكل تفاصيله ، واستمعوا هم إليه فى دهشة وانتباه ، حتى سأله (محمود) :

ــ وما جوهرة الخلود هذه ؟ .. بل ما الأرض المحرّمة ؟

أجابه (نور) ، وهو يهز كتفيه فى حَيْرة :

ــ مِن الواضح أن الأرض المحرّمة هى منطقة لا يجرؤ أحد على الوصول إليها يا (محمود) ، أمّا عن جوهرة الخلود ، فهذا ما ستكشف عنه الرحلة .

سألته (سلوى) فى قلق :

ــ أية رحلة ؟

تردّد لحظة ، ثم قال :

ـ سأذهب أنا و (كوندور) فجر الغد إلى المنطقة المحرّمة ، وستبقون أنتم هنا كرهينة ، حتى أعود إلى (هيدا) بجوهرة الخلود .

عاد إلى تردّده لحظة أخرى ، ثم أردف :

ـ ولندع الله (سبحانه وتعالى) أن أنجح فى مهمتى ، وإلا فسنشارك أهل هذا الكوكب مصيره ، وسنصبح جزءًا من أشلائه المتناثرة فى الفضاء .

★ ★ ★

كان الموقف فى الصباح التالى شبيهًا بالاحتفالات الهمجية القديمة ، فقد أشعل أهل الكوكب المجهول نيرانًا قوية ، وطفقوا يتقافزون حولها ، وهم يردّدون أغنية حماسية اللحن ، فى حين امتطى (نور) جوادًا أشهب اللون ، له لجام من الذهب ، وامتطى (كوندور) إلى جواره آخر داكن السواد ، ووقفت أمامهما (هيدا) فى الزىّ الذى رآها فيه (نور) لأول مرة ، وهى تقول فى عظمة :

ـ ستبدأ الآن رحلتكما نحو الأرض المحرّمة ، وسيقودك إليها (كوندور) أيها الغريب ، وسأنتظر كما سبعة أيام ، وبعدها

لن يسمح لك أيها الغريب بدخول (أندروميد) أبدًا ، وسيذهب رفاقك ضحايا لإلهتنا (تيتانيا) العظيمة .

كانت الكلمات تبدو لـ (نور) سخيفة بدائية ، أما (كوندور) فقد بدا ساخطًا بحاجبيه المعقودين ، وشفتيه الممطوطتين ، إلا أنه لم يتردّد فى جذب لجام جواده الأسود ، حينما صاحت (هيدا) فى قوة :

ـ فلتبدأ رحلتكما .

انطلق (كوندور) بجواده فى مهارة وقوة ، وتبعه (نور) ، وهو يبذل جهدًا مضاعفًا للسيطرة على جواده القوى ، حتى لحق بـ (كوندور) خارج (أندروميد) ، فهتف به :

ـ رويداً يا صديقى .. إننى لا أحسن قيادة الخيل مثلك .

أبطأ (كوندور) من سيره ، وقال فى حنق :

ـ من المؤسف أنك لن تجد الوقت لتعلّمها أبدًا أيها الشاب .

أثارت كلمته اهتمام (نور) ، فسأله وجوادهما يسيران جنبًا إلى جنب :

ـ هل يضايقك أن تصحبنى يا (كوندور) ؟

غمغم (كوندور) فى سخط :

ــ إننى أنفذ أوامر (هيدا) .

ثم أردف من بين أسنانه فى غضب :

ــ تلك اللعينة !!

عقد (نور) حاجبيه فى دهشة ، وسأله :

ــ عجبًا !! .. ألست تدين لها بالولاء يا (كوندور) ؟

تردّد (كوندور) لحظة ، وكأنه يخشى التصريح بما يعتمل فى نفسه ، ولكنه لم يلبث أن أجاب فى حدة :

ــ أنت لا تعلم أية مهمة كلفتنا إياها (هيدا) .. إننا لن نعود من الأرض المحرَّمة أبدًا .

غمغم (نور) فى قلق :

ــ أهى منطقة بالغة الخطورة إلى هذا الحد ؟

أشار (كوندور) إلى السماء ، وقال فى عصبية :

ــ إنها المكان الذى تهبط فيه النجوم .

ثم استدار إلى (نور) ، مردفًا فى حِدَّة :

ــ إنك لا تتصوَّر الأهوال التى تنتظرنا هناك .

وضرب صدره بقبضته فى قوة ، وهو يستطرد :

ــ وتلك اللعينة تعرف ذلك ، وقد انتهزت الفرصة لتتخلّص منى ، بعد أن أصبحت معارضتى لها واضحة .

سأله (نور) فى اهتمام :

ــ ولماذا تعارضها يا (كوندور) ؟

هتف (كوندور) فى سخط واضح :

ــ إنها ديكتاتورة قاسية ، تحتفظ بكل المعارف والعلوم لنفسها ، وترفض أن يشاركها شعبها فى التقدُّم ، حتى يظل أبدًا متخلّفًا ، يخشاها ويخضع لها .

سأله (نور) :

ــ لماذا أطعتها إذن ؟

ظهر الغضب فى عينى (كوندور) ، وهو يقول :

ــ لأنها طلبت من (كوندور) أمام الجميع أن يصحبك إلى الأرض المحرَّمة ، وهى تأمل أن يجبن (كوندور) أو يتراجع ..

وعاد يضرب على صدره ، وهو يردف فى قوة :

ــ ولكن (كوندور) ليس جبانًا ، ولن يوصم بذلك أبدًا ، سنذهب إلى الأرض المحرَّمة ، حتى ولو لم نعد منها أبدًا .

حَدَجَه (نور) بنظرة إعجاب ، وغمغم فى هدوء :

ـــ من يدرى يا صديقى ؟ .. ربما خدعنا نحن (هيدا) ، ونجحنا فى العودة من الأرض المحرَّمة .

عقد (كوندور) حاجبيه الكثين ، وهو يسأله فى اهتمام :

ـــ ماذا تعنى ؟

ابتسم (نور) ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ أعنى يا صديقى أننا سنقتحم الأرض المحرَّمة بأسلحة لم يعرفها كوكبك من قبل ، وهذه الأسلحة قد تؤمِّن لنا النصر عليها .. وعلى (هيدا) أيضًا .

★ ★ ★

٨ ـــ الأرض المحرَّمة ..

اتسعت عينا (كوندور) فى ذهول ، وهو يحدِّق فى الصاروخ الذى أتى به أفراد الفريق إلى كوكبه ، والأجهزة الحديثة المتراصة حوله ، والتى تعمل بصورة دائمة ، لجمع عينات التربة وتحليلها ، وهتف فى توتر :

ـــ ما هذا بحق الآلهة ؟

قفز (نور) من فوق جواده ، وأسرع إلى الصاروخ ، وهو يقول :

ـــ لا تخش شيئًا يا صديقى .. إنه مجرد كتلة صماء لا تؤذى .

تراجع (كوندور) بجواده فى دهشة ، وهو يرقب (نور) ، الذى غاب داخل الصاروخ لحظات ، ثم عاد وهو يدس مسدسًا ليزريًا جديدًا فى سترته ، ويحمل صندوقًا صغيرًا فى عناية ، فسأله (كوندور) فى عصبية ، وهو يشير إلى الصندوق :

ـــ ما هذا الشىء ؟ .. أين الأسلحة التى تحدَّثت عنها ؟

امتطى (نور) جواده ، وفتح الصندوق ، وقال وهو يقرِّبه من وجه (كوندور) :

ـ ها هى ذى أسلحتى يا صديقى .
انعقد حاجبا (كوندور) ، وهو يتطلع إلى مجموعة من الأقراص مختلفة الألوان ، فى جوف الصندوق الصغير ، ثم غمغم فى شك :
ـ أهذه هى أسلحتك ، التى جئت بنا إلى هنا من أجلها ؟
أجابه (نور) ، وهو يعاود إغلاق الصندوق ، ويثبته فى سرج جواده بعناية :
ـ نعم .. إنها هى .
ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتى (كوندور) ، واستلَّ سيفه القوى ، وهو يقول :
ـ إننى لا أثق إلّا بهذا .
ابتسم (نور) ، وقال :
ـ لكل منا أسلوبه يا صديقى .
ثم أردف فى هدوء وثقة :
ـ والآن هيا بنا إلى الأرض المحرّمة .

★ ★ ★

انطلق الرجلان بجواديهما طيلة النهار حتى ساد الظلام ، فأوقفا الجوادين ، وقال (نور) ، وهو يلهث فى إرهاق :

ـ يا إلٰهى !! .. يبدو أن تلك الأرض المحرّمة بعيدة جدًّا يا (كوندور) .
أجابه (كوندور) ، وهو يربّت على عنق جواده ، ويقدّم له الطعام :
ـ إنها هناك ، حيث تلتقى المياه بالصخور .
ابتسم (نور) ، وهو يقول :
ـ تقصد عند ساحل محيطكم يا صديقى ، أم أن هذا المصطلح غير مستخدم هنا ؟
هزّ (كوندور) كتفيه دون أن يجيبه ، ولم يكرّر (نور) عبارته ، وانهمك فى إطعام جواده بنوع من الأعشاب الحمراء ، ثم استلقى على الأرض ، وتوسّد ذراعيه ، وهو يتطلّع إلى الفضاء الممتد أمامه ، بنجومه اللامعة ، واستلقى (كوندور) على بعد أمتار قليلة منه ، وساد بينهما الصمت تمامًا ، إلى أن قال (نور) مبتسمًا :
ـ يا له من جوّ شاعرىّ !! لو أننا على كوكبى ما حظيت بمثل هذه الفرصة ، للتطلّع إلى السماء والنجوم والقمر ، و....
بتر عبارته بغتة ، وهتف فى دهشة :
ـ يا إلٰهى !! .. القمر ؟!

اعتدل فجأة ، وحدّق فى السماء ، ثم قفز نحو (كوندور) ، وسأله فى جِدَّة :

ــ (كوندور) ، لا يوجد قمر فى سمائكم ، فما الذى يجعلنا يرى بعضنا البعض ، على الرغم من الظلام .

اعتدل (كوندور) فى حنق ، ولوَّح بذراعه ، وهو يهتف :

ــ إننى لم أسمع كلمة (قمر) هذه من قبل .. كل ما أعلمه هو أن الليل يضاء بواسطة آلهة الأفق .

أشار وهو يتحدّث إلى سلسلة جبال بعيدة ، فالتفت إليها (نور) ، وانعقد حاجباه ، وهو يتأمل الضوء الفضى الهادئ ، الذى ينبعث من نقطة ما خلفها ، ثم عاد يلتفت إلى (كوندور) ، قائلاً :

ــ نهاركم أيضًا لا يحوى شمسًا ، فمن أين يأتى الدفء والضوء ؟

مطّ (كوندور) شفتيه فى ضجر ، وعاد يستلقى ، وهو يقول :

ــ لست أفهم شيئًا مما تقوله أيها الغريب .. اتركنى أنام ، وفكّر وحدك فيما يحلو لك .

اعتدل (نور) ، وعاد يتأمل الضوء الفضى الهادئ فى الأفق ، وهو يغمغم :

ــ كيف لم أنتبه إلى هذا من قبل .. إننا بالقرب من مدار (أورانوس) تقريبًا ، وعلى الرغم من ذلك فالكوكب دافئ ، كأنَّنا فى موقع كوكب الأرض ، فكيف يتأتى ذلك ؟

أخذ يفكِّر لحظات ، ثم التفت إلى (كوندور) ، قائلاً :

ــ هل تعلم يا (كوندور) .. أن كوكبكم ملىء بالألغاز الغامضة ، التى تثير فضولى ، ويسيل لها لعابى ؟

ولكن (كوندور) لم يسمع كلمة واحدة مما نطق به (نور) .. لأن (كوندور) قد استسلم لنوم عميق ..

★ ★ ★

استيقظ (كوندور) مع انبعاث الضوء ، وتطلّع فى دهشة إلى (نور) ، الذى جلس يضم ركبتيه إلى صدره ، ويعتمد بذراعيه عليهما ، ويتأمل الضوء المنبعث من خلف سلسلة الجبال فى اهتمام ، فسأله فى ضيق :

ــ هل يدهشك الشروق إلى هذا الحد أيها الغريب ؟

أشار (نور) إلى سلسلة الجبال ، وقال :

ــ انظر يا (كوندور) .. إن الضوء ينبثق من خلف

الجبال ، ويتزايد فى اطراد ، دون أن تبرز شمس ، أو يظهر مصدر الضوء .

غمغم (كوندور) ، وهو ينهض فى سخط :

ــ وماذا فى ذلك ؟ .. هذا ما يحدث منذ الأزل .

تمتم (نور) فى شرود :

ــ ولكنه يخالف كل القواعد العلمية المعروفة يا صديقى .

عقد (كوندور) حاجبيه فى حنق ، وهمهم بكلمات ساخطة غير مفهومة ، ثم قال فى صرامة :

ــ هيًا يا فتى ، امتط جوادك ، فما زالت أمامنا رحلة طويلة .

ظل الجوادان ينهبان الأرض طيلة خمس ساعات متتالية ، قبل أن ينتهى بهما المسير إلى ربوة عاليه ، أشار (كوندور) من فوقها إلى منطقة منبسطة ضخمة ، تبدو كأنها بلا نهاية ، وقال :

ــ ها هى ذى حدود المنطقة المحرّمة .

ضاقت عينا (نور) ، وهو يتأمل المنطقة الشديدة الانبساط ، كما لو أنها سطح تمَّ صقله فى عناية بالغة ، وجذبت انتباهه مجموعة من الدوائر الضخمة ، المرسومة فى نقاط

متباعدة من المنطقة ، والتى تبدو كاملة الاستدارة ، على نحو يستحيل صنعه بفعل الطبيعة ، ثم انتبه بغتة إلى مجموعة من الأعمدة البراقة ، تمتد على آفاق البصر ، وتفصل بين كل واحدة منها والأخرى مسافة ، تقدّر بعشرة أمتار ، فأشار إليها وهو يسأل (كوندور) :

ــ ما هذه الأعمدة ؟

أجابه (كوندور) فى صوت يشف عن توتره الشديد :

ــ إنها أعمدة الموت ، التى تحيط بالأرض المحرّمة ، وتمنع أىّ مخلوق أن يطأها بقدمه .

غمغم (نور) فى تفكير :

ــ أعمدة الموت ؟!

ثم جذب عنان جواده ، وهو يقول فى حماس :

ــ دعنا نذهب إليها يا صديقى ، فأنا أحب رؤية أعمدة الموت عن قرب .

★ ★ ★

خفق قلب (نور) فى شدة ، وهو يتأمل أعمدة الموت عن قرب .

كانت مصنوعة من معدن برّاق ، تبلغ مساحة قاعدتها مترًا

مربعًا تقريبًا ، فى حين ترتفع إلى ما يقرب من اثنى عشر مترًا فى الهواء ، وغمغم (نور) فى هدوء :

ـ إذن فهذه هى أعمدة الموت .

التقط (كوندور) حجرًا من الأرض ، وألقى به بين عمودين ، ولم يكد الحجر يصل إلى الخط الوهمى ، الذى يصل بين العمودين ، حتى انبعث أزيز قوى ، وتطايرت من موقع التماس شرارات كهربية قوية ، فتحطم الحجر ، وتحوّل فى جزء من الثانية إلى فتات متناثر ، وهتف (كوندور) :

ـ هل رأيت ما تفعله أعمدة الموت بمن يحاول اجتيازها يا فتى ؟

تألقت عينا (نور) ، وقال فى انفعال :

ـ ربّما بدت لك أعمدة الموت شيئًا غامضًا مخيفًا يا (كوندور) ، ولكنها ليست كذلك بالنسبة لى ، فهذا النوع من نطاقات الأمن مألوف فى عالمى .. إنها أعمدة إليكترونية ، تصنع فيما بينها مجالاً كهرومغناطيسيًّا قويًّا ، يمزّق كل من يحاول اجتيازها .

تجلّت الحَيرة فى عينى (كوندور) ، قبل أن يغمغم فى ضيق :

ـ لست أفهم حرفًا واحدًا من حديثك كله .

ابتسم (نور) فى ثقة ، وقال :

ـ لا عليك يا صديقى .. إنه يعنى ببساطة أننا لسنا أول من يصل إلى كوكبكم من الفضاء الخارجى ، وأن هناك من سبقنا إلى ذلك ، وأسراره كلها تكمن فى هذه المنطقة المعروفة باسم (الأرض المحرَّمة) ، والتى أحاطها بهذا النطاق الأمنى القوى .

ثم أردف فى انفعال شديد :

ـ لذا فقد تضاعفت رغبتى فى اقتحام هذه الأرض المحرَّمة .

عقد (كوندور) حاجبيه ، وهو يقول فى حِدَّة :

ـ وكيف سنجتاز أعمدة الموت أيها الذكىّ ؟

انتزع (نور) ساعته الخاصة ، ورفعها فى وجه (كوندور) ، وهو يقول فى حماس :

ـ بهذا السلاح الصغير يا صديقى .. سيكون هذه المرة أكثر فعالية من سيفك نفسه .

* * *

٩ ــ رحلة الهلاك ..

وقف (كوندور) يداعب عنق جواده ، ويتطلّع فى سخط إلى (نور) ، الذى ثبت ساعته فى قرص صغير أسفل أحد الأعمدة البراقة ، وأخذ يضغط أزرارها فى مهارة ، ثم اعتدل ، ووقف يتطلّع إلى ساعته فى اهتمام ، وإلى الأرقام التى تتراص فوق شاشتها الصغيرة فى سرعة ، فغمغم (كوندور) فى حَنَق :

ــ هل تظن هذا الشىء الصغير قادرًا على هزيمة أعمدة الموت ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، دون أن يلتفت إليه ، وأشار إلى ساعته ، قائلاً :

ــ هذا الشىء الصغير عبارة عن كمبيوتر فائق الكفاءة ، وهو يعمل الآن على حل رموز الشفرة الخاصة بعمود الأمن هذا ، وما أن يصل إليها حتى يسيطر عليها ، ويعمل على إبطالها ، فتنفتح لنا ثغرة فى نطاق الأمن و .....

بتر عبارته بغتة ، وابتسم وهو يردف :

ــ معذرةً يا صديقى .. إننى أنسى أحيانًا أننى أعمل فى كوكب جديد ، يخطو خطواته الأولى نحو الحضارة .

وفجأة ارتفع أزير متصل من ساعة (نور) ، ثم تراصّت ثلاثة أرقام على شاشتها الصغيرة ، وتوقّف الأزيز ، فهتف (نور) فى ظفر :

ــ ها نحن أولاء قد نجحنا يا صديقى .

حَدَجه (كوندور) بنظرة متشككة ، وقال :

ــ هل تعنى أنه يمكننا عبور أعمدة الموت الآن ؟

هتف (نور) فى سعادة :

ــ بلا شك يا صديقى .

نقل (كوندور) نظره بين (نور) وساعته الصغيرة ، الملتصقة بالعمود ، ثم أشار إلى الفجوة بين العمودين ، وقال :

ــ حسنًا .. اعبر أمامى .

ضحك (نور) فى مرح ، وقفز على صهوة جواده ، وقال :

ــ حسنًا .. اتبعنى يا صديقى .

وفى هدوء وثقة عبر أعمدة الموت ، وتبعه (كوندور) ، الذى تملكته الدهشة ، حتى أنه ظل حذرًا إلى أن اجتاز جواده الأعمدة تمامًا ، ثم هتف فى توتر :

ــ هذا الشىء الصغير فعل ذلك ؟!

ابتسم (نور) ، وقال :

ــ هذه هى التكنولوچيا يا صديقى .

عقد (كوندور) حاجبيه ، وهو يهتف فى دهشة :

ــ الـ .. ماذا ؟

ابتسم (نور) ، وقال :

ــ لا عليك يا صديقى ، لا تلتفت لأية كلمة غير مفهومة أتفوّه بها .

تمتم (كوندور) بكلمات ساخطة مبهمة ، ولكنه سار إلى جوار (نور) فى سكون ، فى حين اهتم هذا الأخير بتفقد الدوائر الضخمة ، وهو يغمغم محدّثًا نفسه :

ــ يا له من مهبط فضائى !! لا توجد حصاة واحدة فى المنطقة كلها ، وكل شىء معد لاستقبال سفن فضائية من كوكب ما .

ثم اعتدل ، وسأل (كوندور) فى اهتمام :

ــ ولكن أين المنطقة التى يلتقى فيها المحيط بالشاطئ يا (كوندور) ؟

أشار (كوندور) إلى جبل قريب ، وقال :

ــ هناك .. خلف هذا الجبل .. ولو انطلقنا بسرعة مناسبة ، فسنصل إليها مع حلول الظلام .

لكز (نور) جواده ، وهو يقول :

ــ دعنا لا نضيع وقتنا إذن .

* * *

نهب الجوادان الأرض المنبسطة لثلاث ساعات أخرى ، قبل أن يصل (نور) و (كوندور) إلى سفح الجبل ، وقال (كوندور) وهو يلهث :

ــ بقى أمامنا أن ندور حول الجبل ، فنصل إلى أرض الموت أيها الغريب ، ولكننى أقترح تأجيل ذلك للصباح .

سأله (نور) :

ــ لماذا ؟

هزّ (كوندور) كتفيه ، وقال :

ــ لقد بدأ الظلام ، ونحن لا نعلم طبيعة ما ينتظرنا من أهوال ، وحتى أولئك الذين نجحوا فى القفز فوق أعمدة الموت ، لم يعد أحدهم ليخبرنا ما أصابه ، أو ما واجهه ، والليل يجعل الأمر أكثر صعوبة .

ابتسم (نور) ، وقال :

ــ ربما كان الأمر مجرّد شائعات يا صديقى و ....

بتر عبارته فجأة ، عندما ارتجّ المكان بزئير قوىّ ، فعقد

(نور) حاجبيه ، والتفت إلى (كوندور) ، الذى استلّ سيفه ، وانقبضت عضلاته فى قوّة ، وهو يدور برأسه بحثًا عن مصدر الزئير ، وقال (نور) فى خفوت :

ـــ هل توجد أسود فى كوكبكم يا (كوندور) ؟

أجابه (كوندور) فى هدوء عجيب :

ـــ ماذا تعنى بهذا الاسم ؟ .. إنها أول مرة أسمع فيها مثل هذا الصوت المخيف .

وفجأة تعالى صوت الزئير مرة أخرى ، وردّد الجبل صداه فى قوة ، وجاوبه زئير ثان ، وثالث ، ورابع ، وأمسك (كوندور) مقبض سيفه بكلتا قبضتيه ، وشعر (نور) بإعجابه يتزايد بهذا المقاتل ، الذى لم تشر خلجة واحدة من خلجاته إلى الخوف ، أو التردُّد ، وإنما شفّت ملامحه كلها عن الشجاعة ، والبأس ، والصرامة ، والحزم ، ورأى (نور) عينى (كوندور) تتألقان فى عزم ، وهو يقول فى هدوء :

ـــ هناك أيها الغريب .

تطلّع (نور) إلى سفح الجبل ، حيث ينظر (كوندور) ، وارتجف جسده فى توتر ، وقد خيّل إليه أن أربعة أحجار ضخمة تنفصل عن سفح الجبل ، وسط الظلال الممتدة أمامه ، مع

خفوق ضوء الأفق ، فحدّق فيها بمزيج من القلق والترقّب ، حتى عبرت الأجسام الأربعة حاجز الظلام ، وبدت بشكلها المرعب ، الذى يجمّد الدم فى العروق ، وغمغم فى ذهول ، وهو يحاول السيطرة على جواده ، الذى جفل فى رعب :

ـــ أبو الهول ؟!!

فقد كانت الأجسام الأربعة لأسود ضخمة ، يبلغ حجم الواحد منها ثلاثة أضعاف حجم الأسد العادى ، وكانت رءوسها رءوسًا بشرية ، يتألق فيها الموت والوحشية ..

كانت صورة حية من أبى الهول ، الذى يقف شامخًا ، يحمى أهرامات الجيزة ، وقبل أن يتمالك (نور) ذهوله ارتفع زئير الوحوش الأربعة ، وقفزت نحو (نور) و (كوندور) ، وبدأت رحلة الهلاك .

* * *

١٠ – صراع فى الوادى ..

كان الموقف رهيبًا ، مخيفًا ، قاسيًا ..

كانت الأسود الأربعة بالغة الضخامة ، لها وجوه البشر ، باستثناء تلك الأنياب البارزة القوية ، والشراسة الوحشية الهائلة ، ولقد قفز اثنان منها نحو (نور) ، وقفز الآخران نحو (كوندور) ..

جفل جواد (نور) ، وارتفع على قائمتيه الخلفيتين ، وهو يصهل فى قوة ، فألقى (نور) من فوقه ، فى نفس اللحظة التى انقض فيها الوحشان ، فبقرت مخالب أحدهما بطن الجواد ، الذى سقط مضرَّجًا فى دمائه ، فانتزع (نور) مسدسه الليزى الجديد ، وأطلق دفقه من أشعته على رأس الوحش الأول ، وشعر بالاشمئزاز ، حينما رأى الرأس البشرى الضخم يتفجرّ بالدماء ، وسمع زئير الموت الهائل يصم أذنيه ، قبل أن يسقط الوحش جثة هامدة ..

توقف الوحش الثانى ، وانطلقت من فمه البشرى زمجرة قوية ، وهو ينقل بصره بين زميله الصريع ، وجسد (نور) الصغير نسبيًا ، ثم تحفز ، وزأر فى قوة وشراسة ، و (نور) يتطلع إلى وجهه البشرى فى توتُّر ، ويصوِّب نحوه مسدسه

الليزرى ، وقد جعله وجه الوحش يشعر وكأنه يطلق النار على بشر مثله ، وكان هذا يبعث فى نفسه التردد والألم ، بسبب كراهيته الشديدة للتدمير والقتل ، لولا أن عاود الوحش الضخم انقضاضه نحوه ، وهنا لم يكن أمام (نور) إلّا أن يطلق أشعة مسدسه ، وشعر بمخلب الوحش الضخم يمزّق سترته الجلدية ، قبل أن يسقط بدوره جثة هامدة ..

لهث (نور) فى انفعال ، وهو ينقل بصره بين الوحشين المجندلين ، ثم انتزعه زئير قوى من جموده ، فرفع عينيه إلى (كوندور) ، واتسعت عيناه فى دهشة وانبهار ، وهو يلمح ذلك المقاتل العظيم ، وهو يسيطر على جواده فى مهارة مذهلة ، ويطلق صرخات قتالية قوية ، وسيفه يدور ذات اليمين ، وذات اليسار ، فيثخن الوحشين بالجراح ، على الرغم من شراستهما ، ووحشيتهما .

رأى (نور) أحد الوحشين يثب نحو (كوندور) ، ورأى هذا الأخير يواجهه فى شجاعة نادرة ، ويغمد سيفه القوى بين عينيه بلا تردّد ، ثم ينتزعه ، ودماء الوحش تقطر منه فى غزارة ، إلّا أن الوحش الثانى وثب نحوه فى قوة ، وأصابه بمخالبه ، فألقى به من فوق جواده ، الذى صهل فى ذعر ، وانطلق يعدو مبتعدًا



رأى (نور) أحد الوحشين يثب نحو (كوندور) ، ورأى هذا الأخير يواجهه فى شجاعة نادرة ، ويغمد سيفه القوى بين عينيه ..

عن المكان ، فى حين قفز (كوندور) واقفًا ، وعاد يرفع سيفه فى وجه الوحش الثانى ، غير مبال بجراحه المتعدّدة ..

ووثب الوحش الثانى ، وأطلق (نور) أشعة مسدسه الليزرىّ و ....

وانتصر بطلانا ..

★ ★ ★

أسرع (نور) نحو (كوندور) ، الذى كان يمسك بسيفه فى قوة ، ويتطلع فى دهشة إلى الوحوش الأربعة الصريعة ، وقال فى صرامة :

ـــ (كوندور) لم ير شيئاً هكذا من قبل .

ربَّت (نور) على كتفه القوى فى إعجاب ، وقال :

ـــ أما أنا فقد رأيت صورة لهذه الوحوش فى عالمى يا صديقى الشجاع .. وأراه كل يوم من نافذة مكتبى تقريبًا ، ولكننى لم أتصوّر أبدًا رؤيته حيًّا .

ثم هزّ رأسه قبل أن يردف :

ـــ يبدو يا صديقى أننى سأعيد النظر فى كل ما تصوّرته مجرد رموز فى عالمى .

سأله (كوندور) فى اهتمام :

— ماذا تعنى أيها الغريب ؟

ابتسم (نور) فى شرود ، وعاد يربِّت على كتفه ، مغمغمًا :

— لا عليك يا صديقى .. (كوندور) يحتاج إلى تضميد جراحه أولاً .

مسح (كوندور) الدماء التى تلوث ذراعه ، وقال فى فخر :

— لقد قتل (كوندور) أحد الوحوش ذات الرءوس البشرية ، دون أن يملك ذلك الضوء القاتل ، الذى تحمله .

ابتسم (نور) ، وقال :

— (كوندور) مقاتل شجاع ، وأنا أفخر بصداقته .

وضع (كوندور) يده على كتف (نور) فى قوة ، وقال :

— أنت أنقذت حياة (كوندور) ، وقتلت الوحش الآخر .. من الآن أنت أخ لـ (كوندور) .

تنهَّد (نور) ، وهو يقول :

— هذا يبعث الفخر فى قلبى يا (كوندور) .

ثم تلفَّت حوله ، وقال :

— والآن ماذا سنفعل ؟ .. لقد لقى جوادى مصرعه ، وفرَّ جوادك بعيدًا .

أشار (كوندور) إلى الطريق ، الذى يدور حول الجبل ، وقال :

— (كوندور) سيدور حول الجبل على قدميه .. أنت محق يا أخى .. لن نضيع الوقت انتظارًا للضوء .. لقد اقتحمنا الأرض المحرَّمة ، ولن نعود أو نتقاعس قبل أن نهزم الخوف الكامن فيها .

تضاعف إعجاب (نور) بشجاعة (كوندور) ، وقال فى حزم :

— نعم يا أخى .. سنهزم الأرض المحرَّمة .

* * *

بدا الطريق طويلاً شاقًّا ، وساد الظلام تمامًا ، بعد أن حجب عنهم الجبل ضوء الأفق ، الذى ينبعث من مصدر ما خلفه تمامًا ، حتى بات بطلانا يتلمَّسان طريقهما فى صعوبة ، ومضت ساعات طوال قبل أن يلوح لهما ضوء مبهر ، فهتف (نور) فى حماس :

— لقد وصلنا يا أخى .. خلف هذا المنعطف تمامًا يقع ضوء الأفق .

وصل إلى مسامعهم صوت أمواج هادئة ، ترتطم

بالصخور ، فأسرع (نور) الخطا ، مهتديًا بالضوء الذى يتزايد تدريجيًا ، وهو يقول فى حماس :

ـ ها هى ذى بغيتنا يا أخى .. حيث يلتقى المحيط بالصخور .

لم يكد كلاهما يدور حول المنعطف الأخير ، حتى توقفا مبهوتين ، وتطلعا بمزيج من الدهشة والانبهار إلى كرة شديدة الضخامة ، مقامة فوق عمود هائل الحجم والارتفاع ، تشع بضوء أزرق شديد القوة ، حتى أنهما اضطرا لحماية عيونهما ، و (كوندور) يهتف :

ـ يا للآلهة .. هذا هو ضوء الأفق .

انتزع (نور) من حزامه منظارين داكنين ، وضع أحدهما على عينيه ، وناول الآخر لـ (كوندور) ، وهو يقول :

ـ ضع هذا على عينيك يا أخى .. سيؤمّن لك رؤية جيدة ، دون أن تصاب عينيك بأذى .

وضع (كوندور) المنظار الداكن على عينيه ، وتطلّع كلاهما فى انبهار إلى المشهد العجيب ..

كانا داخل شاطئ صخرى مغلق ، منبسط حيث يقفان ، وتنحنى جوانب الجبل الضخم لتغلق أحد أطرافه ، وتترك

منفذًا واسعًا فى منتصف الجانب الآخر ، حيث عبر (نور) ورفيقه ، وفى منتصف الشاطئ ارتفع العمود الهائل ، وهو يحمل كرة الضوء البالغة الضخامة ، وأمواج المحيط الوحيد فى الكوكب ترتطم بالشاطئ الصخرى فى نعومة ..

دار (نور) ببصره فى أرجاء المكان ، وتوقّفت عيناه عند جزء معدنى ، يتوسّط الجانب المغلق من الجبل ، فأشار إليه ، قائلاً :

ـ هذا هو المدخل ، الذى يقودنا إلى جوهرة الخلود يا أخى .

أمسك (كوندور) ذراعه بغتةً فى قوة ، وقال فى اهتمام :

ـ أنصت يا أخى .. (كوندور) يسمع غناءً جميلاً .

أنصت (نور) فى اهتمام ، وتناهى إلى مسامعه صوت غناء شجى ، بعث فى قلبه ارتياحًا عجيبًا ، وأخذ الصوت يرتفع فى بطء تدريجى ، وسمع (نور) (كوندور) يقول فى انبهار :

ـ انظر يا أخى .. إنها أجمل من (هيدا) نفسها .

التفت (نور) إلى حيث ينظر (كوندور) ، وتجلّت الدهشة فى ملامحه ، وهو يتطلّع إلى صخرة قريبة وسط الأمواج ، جلست فوقها ثلاث من أجمل نساء الكون ، ينشدن أغنيةً بالغة الجمال والرقة ، تبعث الخدر فى أعماقه ، ورأى



وتجلت الدهشة فى ملامحه ، وهو يتطلّع إلى صخرة قريبة وسط الأمواج ، جلست فوقها ثلاث من أجمل نساء الكون ..

(كوندور) يتجه كالمخدَّر إلى حيث تجلس النساء الثلاث ، وكاد (نور) يتبعه ، لولا أن حانت منه التفاته إلى النصف السفلى من النساء الثلاث ، ورأى الزعانف التى تنتهى بها أطرافهن ، وتذكر الأساطير القديمة ، عن عرائس البحر ، اللاتى يجذبن بحارة السفن بغنائهم العذب ، ثم يلتهمنهم بلا رحمة ، ويفترسهم بلا هوادة ..

تراجع (نور) حينما برزت تلك الحقيقة فى ذهنه ، وتطلّع إلى النساء الثلاث ، ذوات النهايات السمكية فى رعب ، وصاح :

ـــ لا تتقدّم منهن يا أخى .. إنه فخ ..

ولكن (كوندور) لم يتوقف .. خاض مياه المحيط فى حركة آلية ، واتجه إلى النساء الثلاث ، اللاتى مددن أيديهن إليه ، وهن يواصلن غناءهن العذب ، واندفع (نور) نحو رفيقه ، وصرخ فى رعب :

ـــ عد يا (كوندور) .

ولكن صرخته جاءت بعد فوات الأوان ، فقد كان (كوندور) قد وصل إلى الصخرة ، التى تجلس فوقها عرائس البحر الثلاث ، وكن قد أبرزن أنيابهن ، وتأهّبن لافتراسه .

★ ★ ★

١١ ــ الأهوال ..

انتفض جسد (نور) فى ذعر ، وهو يعدو بكل قوته ، نحو صخرة عرائس البحر ..

رأى أنياب إحداهن الحادة تنغرز فى كتف (كوندور) ، ورأى مخالب الأخرى تنهش عضلات صدره ، وفك الثالثة تندفع نحو عنقه .

رأى الموت يطلّ من عيون المخلوقات الثلاثة ، والأهوال تقطر من أنيابهن ومخالبهن ..

وصرخ (نور) .. وحملت صرخته كل توتُره ، وذُعره ، ولوعته ، وجزعه ..

صرخ باسم (كوندور) ، ثم انتزع مسدسه الليزرى ، وتبخرت من عقله كل كراهيته للقتل والتدمير ، أو أنها تضاعفت ، حينما رأى (كوندور) بين أنياب ومخالب المخلوقات الثلاثة ..

وانطلقت أشعة الليزر القاتلة ..

انطلقت تردى واحدة من عرائس البحر ، وتخترق عنق الثانية ، و (نور) يواصل عدوه نحو رفيق رحلته ..

وأفاق (كوندور) من خدره ، حينما توقّف الغناء السحرى ..

أفاق ليجد نفسه مثخنًا بالجراح ، وليشعر بأنياب العروس الباقية ، وهى تنغرز فى عنقه ، شعر بدمائه الحارة تسيل على العنق الجريح ، فصرخ فى قوة ، وهو يدفع عروس البحر القاتلة عنه ..

انطلق من بين أنياب عروس البحر الثالثة خوار مخيف ، ورفعت ذيلها الشبيه بذيل سمكة ضخمة ، ولطمت به (كوندور) لطمة قوية ، ألقت به فوق الصخرة ، فارتطم رأسه فى قوة ، وفقد وعيه ، وعادت عروس البحر تنقض على عنقه بأنيابها ..

وأطلق (نور) أشعة مسدسه الليزرى مرة ثالثة ، واخترقت أشعته كتف عروس البحر ، فأطلقت صوتًا يشبه عواء كلب جريح ، والتفتت نحو خصمها الجديد فى شراسة ووحشية ..

وقبل أن يطلق (نور) أشعة مسدسه مرة اخرى ، تلقى لطمة قوية من ذيل عروس البحر ، فسقط وسط المياه ، وأفلت مسدسه الليزرى ، ليغوص بعيدًا ..

أسرع (نور) ينهض ثانيةً ، ليواجه عروس البحر المتوحّشة ، ورآها فى هذه اللحظة أشبه بنمر جريح ، وهى تبرز مخالبها الحادة ، وتكشّر عن أنيابها ، وتضرب الماء بذيلها لتندفع نحوه ..

تفادى (نور) مخالب عروس البحر فى اللحظة الأخيرة ، ولكن ذيلها القوى عاد يلطمه فى قوة ، ويلقى به إلى جوار (كوندور) ، وقبل أن تعاود المخلوقة البشعة هجومها ، وهى تطلق صرخة حيوانية مخيفة ..

وشعر (نور) بعجزه ، بعد أن فقد سلاحه ، وتراجع فى خوف أمام هجوم المخلوقة المخيفة ..

وفجأة لمح سيف (كوندور) اللامع فى غمده ، فاستله بلا تردد .

وقفزت عروس البحر فى وحشية ، وطوّح (نور) بسيف (كوندور) فى قوة ، وانطلق خوار مخيف ، ورأى (نور) رأس عروس البحر يطير بعيدًا ، والدماء تندفع من عنقها المبتور فى قوة وغزارة ، وذيلها يرتجف لحظة ، ثم سقطت مجندلة ، واصطبغت المياه حولها بالدماء ..

ظلّ (نور) يلهث لحظة ، من فرط جهده وانفعاله ، ثم

أسرع يحمل جسد (كوندور) القوى على كتفيه ، ويخوض الماء عائدًا إلى شاطئ الأهوال ..

أرقد رفيق رحلته على الشاطئ الصخرى فى رفق ، وأخذ يحاول إنعاشه ..

مضت لحظات ثقيلة ، قبل أن يسعل (كوندور) فى قوة ، وينفرج جفناه فى بطء ، ويغمغم :

ـ ماذا حدث يا أخى ؟

تنهّد (نور) فى ارتياح ، وابتسم قائلاً :

ـ لقد نجونا يا صديقى .

تناهى إلى مسامعهما فى تلك اللحظة صوت جلبة من ناحية المحيط ، فالتفتا إليه فى توتر ، وشعر (نور) بالاشمئزاز الشديد ، وغمغم (كوندور) فى دهشة :

ـ يا للبشاعة !!

فقد كانت هناك عشرات من عرائس البحر الصغيرة ، تلتهم فى شراهة أجساد العرائس الثلاثة القتيلة ، وتتصارع فيما بينها على ذلك الطعام البشع ..

غمغم (نور) ، وهو يشيح ببصره عن المشهد المخيف :

ـ صدقت يا أخى (كوندور) .. الأرض المحرّمة تمتلئ بالأهوال .

ولكن (كوندور) لم يكن يستمع إليه ..

كان بصره متعلقًا بذلك الجزء المعدنى ، فى الجانب المغلق للجبل ، وغمغم فى توتر واضح :

ـ (السيكلوب) .

التفت (نور) إلى حيث يتطلع (كوندور) فى حِدَّة ، وارتجف قلبه فى رعب ودهشة .. فهناك . أمام الجزء المعدنى ، الذى انفرج بلا صوت ، وقف مخلوقان بشعان ، تغطّى جسداهما بحراشيف براقة ، وبدت ملامحهما شديدة الهول ، ولكل منهما عين واحدة فى منتصف جبهته تمامًا ، وكانا يحملان سيفين لامعين ، يلوح فى بريقهما الموت ..

★ ★ ★

كانت الأهوال تتضاعف فى كل مرة ، والرعب الذى يظلّل الأرض المحرَّمة يتزايد فى كل مواجهة ، وتتضاءل إلى جواره فرص النجاة ..

كان (كوندور) ضعيفًا واهنًا ، من كثرة ما فقد من دماء ، حتى أنه عجز عن النهوض لمواجهة (السيكلوب) ؛ بسبب جسده المثخن بالجراح ..

وكان على (نور) أن يقاتل وحده ..

أمسك (نور) مقبض سيف (كوندور) فى قوة ، ونهض فى بطء ، مواجهًا المخلوقين البشعين فى جسارة ، وهتف به (كوندور) فى ضعف :

ـ لن يمكنك مواجهتهما وحدك يا أخى .. لن يمكنك .

واتخذ المخلوقان وضعًا استعداديًا للقتال ، وتقدما نحو (نور) فى بطء مخيف ، وقد اتجه أحدهما إلى يمينه ، والآخر إلى يساره ، وحار (نور) فى نقل بصره بينهما ، وهو يميل بسيف (كوندور) إلى الجانبين ..

وفجأة انقض المخلوقان ..

تفادى (نور) نصل أحد السيفين ، وقفز يتلقى السيف الآخر على جانب سيف (كوندور) ، ثم قفز إلى الوراء ، وعاد يواجههما وهو يلهث فى قوة ..

كان من الواضح أن المخلوقين يفوقانه قوة وحنكة فى هذا النوع من القتال ، وكان من الواضح أنه لن ينجح فى هزيمتهما أبدًا ..

وفجأة تذكّر (نور) صندوق أسلحته الصغير ، فتراجع فى حذر ، وهو يلتقطه ، ويفتحه مستخدمًا يده اليسرى وحدها ، وتناول منه قرصًا أحمر اللون ، وقبل أن يقبض عليه

بيده ، قفز نحوه أحد المخلوقين ، وهوى بسيفه على عنقه فى قوة ..

غاص (نور) إلى أسفل فى سرعة ورشاقة ، ثم اعتدل بغتة ، وركل (السيكلوب) الأول فى وجهه البشع ، ثم مال جانبًا ، ليتفادى ضربة سيف من (السيكلوب) الثانى ، وألقى قرصه بين المخلوقين ، وتراجع فى سرعة ..

انفجر القرص الصغير فى قوة ، وتصاعدت منه أبخرة حمراء كثيفة ، حجبت الرؤية عن عينى المخلوقين البشعين ، وقفز (نور) بين سحب الدخان فى جسارة ، ودفع سيفه نحو أقرب الظلين إليه ، وشعر بنصل السيف يرتطم بجسم صلب ، وسمع صوتًا يشبه أصدافًا تتكسر ، أعقبه عواء خشن مرتفع ، فجذب سيفه إليه مرة أخرى ، وتراجع فى حدّة ..

انقشعت الأبخرة فى سرعة ، بسبب هواء المحيط ، وتبين (نور) (السيكلوب) الأول ملقى على الأرض ، غارقًا فى بركة من الدماء ، ورأى الثانى يتقدم نحوه بمزيد من الشراسة ، وعينه الواحدة فى جبهته تصرخ بالغضب ..

وتناول (نور) صندوقه الصغير مرة ثانية ، ولكن (السيكلوب) قفز نحوه فى مهارة ، وأطاح بالصندوق بضربة محكمة من سيفه ، وعوى فى قوة ، ورفع سيفه بكلتا قبضتيه ، وهوى به على رأس (نور) تمامًا ..

★ ★ ★

١٢ ـ الأفعى ..

التصق (نور) بجدار الجبل ، وحاول أن يدرأ عنه ضربة (السيكلوب) القوية القاتلة ، فرفع سيفه فوق رأسه ، وارتطم سيف (السيكلوب) بسيف (كوندور) فى يد (نور) ، وكشف (نور) لحظتها أن قواه لا تقارن أبدًا بقوة (السيكلوب) ، فقد طار السيف من يده فى قوة ، ولمح بريق النصر فى عينى (السيكلوب) ، وهو يتقدّم نحوه ، بعد أن جرّده من سلاحه الأخير ، ثم رآه يندفع نحوه ، ورأى سيفه الضخم يشق الهواء إلى صدره بلا رحمة ..

وفجأة توقّفت يد (السيكلوب) ، وعوى فى غضب ، واتسعت عينا (نور) فى دهشة ، وهو يحدّق فى (كوندور) ، الذى قاوم ضعفه ، وجراحه الغائرة ، وجمع كل ما تبقى له من قوة ، لينقض على (السيكلوب) ، ويمنعه من قتل (نور) ..

كان موقفًا رهيبًا ، يحتاج إلى بسالة نادرة ، وإصرار خارق ، فقد كان (كوندور) يحيط عنق (السيكلوب) بذراع مثخنة بالجراح ، ويقبض على معصمه الذى يمسك مقبض السيف بيد ممزّقة ..

وفى مبادرة سريعة ، واستجابة رشيقة ، قفز (نور) نحو سيف (كوندور) الملقى بعيدًا ، والتقطه ، ثم قفز نحو

وارتطم سيف (السيكلوب) بسيف (كوندور) فى يد (نور) ، وكشف (نور) لحظتها أن قواه لاتقارن أبدًا بقوة (السيكلوب) ..

(السيكلوب) ، الذى كان قد تخلّص من (كوندور) ، وألقاه أرضًا ، واستعد لضرب عنقه ..

وغاص سيف (نور) فى صدر (السيكلوب) ، وتحطّمت حراشيف جسده فى صوت مزعج ، وجحظت عينه الواحدة فى منتصف جبهته ، وفقدت تألقها ، وهوى (السيكلوب) جثة هامدة ..

وقف (نور) لحظة مبهوتًا ، ثم أسرع يعاون (كوندور) على النهوض ، وهو يقول :

ــ (كوندور) أنقذ (نور) ..

نهض (كوندور) فى ضعف ووهن ، وهو يغمغم :

ــ الغريب أيضًا بالغ الشجاعة .. لقد قاتل فى جسارة تفوق شعب (أندروميد) .

عاونه (نور) على السير نحو الباب المعدنى المفتوح ، وغمغم (كوندور) فى قلق :

ــ هل سنقتحم قلب جبل الموت ؟

أجابه (نور) فى حزم :

ــ نعم يا أخى المقاتل .. إن من صنع كل هذه الأهوال كان يهدف إلى منعنا من الدخول إلى مقر قيادته ، ولن نجعله ينتصر أبدًا .



★ ★ ★

كان الأمر مذهلاً للرجلين ، وهما يعبران الممر الطويل ، المضاء بأضواء فسفورية قوية ، تنتشر على جانبيه فى انتظام مدروس ..

كان (كوندور) يتطلع إلى كل هذا فى ذهول ، وقد خيّل إليه أنه يعبر مقر الآلهة أنفسهم ، وقد بهره ما يراه فى كل جانب ، أما مبعث ذهول (نور) فكان مرجعه إلى هذا المقر الخفى ، الذى من الواضح أن شعبًا متقدمًا للغاية قد صنعه لهدف ما ..

كان كل شيء فى المكان ينبئ عن تقدم تكنولوچى هائل ، يفوق تقدّم كوكب الأرض عشرات المرات ، حتى بات التناقض رهيبًا بين سطح الكوكب المتخلف ، والتكنولوچيا المبهرة فى أعماقه ..

سارا طويلاً ، و(كوندور) يتحامل على جسد (نور) فى صعوبة ، حتى وصلا إلى أنبوب زجاجى أسطوانى كبير ، عاون (نور) (كوندور) القلق على الدخول إليه ، وهو يقول :

ـ إنه مصعد أو مهبط يا صديقى .. قد لا تدرك معنى الكلمة ، ولكن هذا الشيء سيقودنا بالتأكيد إلى مقر قيادة أصحاب الأرض المحرَّمة ، سواء فى قمة الجبل ، أو فى أعماق الأرض .

غمغم (كوندور) فى توتر :

ـ وقد يقودنا إلى الموت .

هزّ (نور) كتفيه ، وقال :

ـ ربّما .. من يدرى ؟

داخل الأنبوب لم يكن هناك سوى زرَّيْن ، ضغط (نور) أحدهما ، وهو يقول :

ـ هل ترى هذين الزرّين يا (كوندور) ؟ .. إن أحدهما يؤدى للصعود ، والآخر للهبوط .

لم يتحرّك الأنبوب قيد أنملة ، بعد أن ضغط (نور) الزر ، فعقد حاجبيه فى قلق ، وقال :

ـ من حسن الحظ أنه ليس أمامنا الآن إلا خيار واحد .

قال عبارته ، وضغط الزر الآخر فى هدوء ..

أضاء المصعد كله بضوء أخضر هادئ ، إثر ضغطة (نور) ، ثم بدأ يغوص إلى أسفل فى هدوء ، وهتف (كوندور) فى توتر شديد :

ـ يا للآلهة !! إن هذا الشيء يقودنا إلى عالم الظلال ، حيث يذهب الموتى .

ابتسم (نور) ، وقال :

ـ الموتى لا يذهبون إلى باطن الأرض يا أخى .. فلهم عالم آخر ، لا مجال فيه للخوف أو القلق .. إنه عالم أفضل من عالمنا يا صديقى .

لم تنجح عبارة (نور) فى محو توتر (كوندور) ، الذى أخذ يتزايد فى شدة ، كلما أوغل الأنبوب فى هبوطه ، وناول (نور) سيفه ، وهو يقول :

ـ هاك سيفى أيها الغريب ، لقد حملت معى سيف (السيكلوب) ، وهو أثقل من أن تحمله أنت .

ابتسم (نور) فى إشفاق ، وهو يتأمل جراح (كوندور) الغزيرة ، وقال :

ـ لا أظن أننا سنقاتل مرة أخرى يا أخى .

همهم (كوندور) بكلمات متشككة ساخطة ، وقبض على سيف (السيكلوب) فى قوة ، فى حين أمسك (نور) سيفه فى تراخ ، وهو ينتظر وصول المهبط إلى محطته الأخيرة ..

وأخيرًا توقف المهبط ..

توقف وسط قاعة رهيبة ، تزخر بأضواء لامعة متألقة ، وعشرات من أجهزة الكمبيوتر ، التى تعمل فى انتظام ودقة ، دون أن يبدو مخلوق حىّ واحد بينها ..

غادر الرجلان الأنبوب ، ونسى (كوندور) جراحه العديدة ، وهو يسير مشدوهًا بين الأجهزة المعقّدة ، فى حين هتف (نور) فى انبهار :

ـ يا للروعة !! إنها مدينة علمية كاملة .. كل شىء يدار آليًا .. حتى صيانة الأجهزة ، ومراجعة الأعطال .. إنه أكمل نظام آلى رأيته فى حياتى كلها .. هذه الأجهزة معدّة للعمل مليون سنة على الأقل ، دون أن تمتد إليها يد أى مخلوق حىّ .

أشار (كوندور) إلى باب معدنى كبير فى ركن القاعة ، خطت فوقه رموز عجيبه غير مفهومة ، وقال فى قلق :

ـ انظر أيها الغريب .. بوابة (سيكلوب) أخرى .

انتقل بصر (نور) إلى حيث أشار (كوندور) ، ثم هتف :

ـ كلا يا أخي .. أراهنك أنه مدخل الطريق إلى الكمبيوتر الأم ، الذى يشرف على كل هذه الأجهزة .

وعاون (كوندور) على التوجه معه إلى الباب المعدنى الكبير ، وهذا الأخير يغمغم :

ـ لم يعد (كوندور) قادرًا على المشى .. يبدو أن (كوندور) سينتقل إلى عالم الظلال قريبًا .

هتف (نور) فى حماس ، وهو يضغط زرًّا صغيرًا إلى جوار الباب المعدنى الكبير :

ـ كلّا يا أخى .. لن ينتقل (كوندور) إلى عالم الظلال .. لقد انتصرنا على الأرض المحرّمة ، وسيشهد (كوندور) انتصارنا فى النهاية .

تحرّك الباب المعدنى فى هدوء ، كاشفًا ممرًّا طويلاً ، خاليًا ، فى نهايته باب معدنى آخر فهتف (نور) :

ـ هناك يا (كوندور) .. هناك عقل الأرض المحرّمة .

تثاقلت قدما (كوندور) ، وهو يسير فى وهن إلى جوار (نور) ، نحو الباب الآخر ، ثم توقّف بغتة ، وغمغم فى توتر :

ـ اسمع يا أخى .. (كوندور) يسمع حفيفًا قويًّا .

توقف (نور) فى قلق ، وأرهف سمعه جيّدًا ، وسرعان ما تبين الحفيف ، الذى بدا وكأنه يقترب منهما من طريق جانبى ، وأشار (نور) إلى فجوة كبيرة إلى يسار الممر ، وقال فى صوت خافت :

ـ الصوت يأتى من هنا يا (كوندور) .

أمسك (كوندور) مقبض سيف (السيكلوب) بكلتا قبضتيه ، ورفعه أمامه ، مقاومًا ضعفه الشديد ، وهو يقول فى صرامة وحَنَق :

ـ من قال إننا لن نواجه الأهوال مرة أخرى ؟

غمغم (نور) ، وهو يمسك سيفه فى قوة :

ـ ربّما كان صوت إحدى الآلات ، أو ....

وفجأة بتر عبارته ، وتراجع كلاهما فى رعب ، فقد برزت بغتة من الفجوة الجانبية أفعى ضخمة هائلة ، فى حجم طائرة كبيرة ..

أفعى قاتلة ، لها ثلاثة رءوس !!

★ ★ ★



١٣ ـ أنهار الدماء ..

تطلعت الحية الضخمة ، ذات الرءوس الثلاثة ، بعيونها الست إلى الرجلين ، وبرز من كل رأس لسان مشقوق مخيف ، وانطلق فحيح مخيف من الرءوس الثلاثة ، وأخذت الحية تزحف فى بطء نحو (نور) ، و (كوندور) ، الذى هتف فى ذهول :

ـ إنها حارس الآلهة .

تأمل (نور) الزحف البطىء للأفعى المخيفة ، وقال وهو يرفع سيفه ، ويتراجع فى بطء :

ـ كلَّا يا (كوندور) .. إنها مجرد حية ضخمة ، استيقظت لتوها من سبات عميق .

غمغم (كوندور) ، وهو يشهر سيف (السيكلوب) :

ـ من ماذا ؟

قال (نور) فى توتر :

ـ انظر إلى حركتها البطيئة .. لقد وضع أصحاب الأرض المحرَّمة هذه الحية المفزعة فى حالة تجمد طويل ، ولقد أيقظناها نحن حينما اقتحمنا الممر المؤدى إلى الكمبيوتر الأم ، ربما كانت هناك شفرة ما لفتح الباب الأول ، ولم ننتبه نحن إليها ؛ لذا فقد

عملت الأجهزة الآلية على إيقاظ الأفعى ، لتمنع أى دخيل من اقتحام حجرة الكمبيوتر الأم ، وهى لم تستعد نشاطها كاملاً بعد ..

هتف (كوندور) فى سخط ، وهو يتراجع أمام الأفعى :

ـ لست أفهم شيئًا من حديثك المعقد هذا أيها الغريب .

قال (نور) فى حزم :

ـ ثق بى فقط يا أخى .. إن خطورة هذه الأفعى تكمن فى أن لها ثلاثة رءوس ؛ لذا فلابد لنا من مهاجمتها معًا ، وعليك ضرب عنقها قبل أن يمسَّك لسانها المشقوق ، أو تنالك أنيابها .

قال (كوندور) فى صرامة :

ـ (كوندور) لا يهاب الأنياب .

هتف (نور) فى حماس :

ـ انقض إذن يا أخى .

وانقضا فى آن واحد على الأفعى الرهيبة .

★ ★ ★

كانت ضربة (كوندور) الأولى موفَّقة للغاية ، فعلى الرغم من ضعفه ، وجراحه ، قفز فى جسارة مذهلة نحو الأفعى ، وبتر

أولى أعناقها بضربة قوية من سيف (السيكلوب) ، وأطلقت الأفعى فحيحًا مخيفًا ، ولطمته بذيلها ، فألقت به بعيدًا ، وأدارت رأسيها الباقيين نحو (نور) ، فى حين تدفّقت الدماء غزيرة من الرأس المقطوع ..

وضرب (نور) بكل ما يملك من قوة ، ولكن ضربته لم تبتر الرأس الثانى ، وإنما جرحته جرحًا غائرًا فحسب ، وعادت الأفعى تطلق فحيحها المخيف ، وتنقض مرة أخرى على (نور) ، الذى تفادى انقضاضتها القوية ، وقفز بين رأسيها ، ولكنها لطمته بذيلها الحاد ، وألقت به بعيدًا مرَّة أخرى ..

نهض (نور) و(كوندور) مرَّة ثانية ، وعادا يهاجمان الأفعى ، التى قاتلت فى شراسة هذه المرّة ، وضربتهما برأسها السليم .. فأعادتهما ملقيين بعيدًا عنها ..

قفز (نور) واقفًا على قدميه ، وهتف :

ــ اصرف انتباهها إليك يا أخى ، وسأقوم أنا بالباق .

اندفع (كوندور) نحو الأفعى ، ولوَّح بسيفه فى وجهها بقوة ، وهو يطلق صرخات قتالية عنيفة ، فى حين انزلق (نور) إلى جوارها ، وقفز فوق ظهرها ..

كان (كوندور) يقاتل فى شراسة ، حينما رأى (نور) فوق الرأس السليم للأفعى ، فصرخ فى قوة :

ــ ابتره يا أخى .

وبكل ما يملك من قوة ، غرس (نور) سيفه فى رأس الأفعى ، وتفجّرت الدماء فى وجهه ، فى نفس اللحظة التى انزلق فيها (كوندور) ، فوق الدماء اللزجة ، واندفع نحوه الرأس الجريح الباق للأفعى ، وضربه فى قوة ، فألصقه بالحائط ، قبل أن تبرز أنياب الأفعى الأخيرة ، وتنقض على (كوندور) ..

★ ★ ★

قفز (نور) قفزة قوية ماهرة وتعلّق بالعنق الأخير للأفعى ، قبل أن تغمد أنيابها السامة فى جسد (كوندور) ، وصرخ صرخة قتالية قوية شبيهة بتلك ، التى اعتاد (كوندور) إطلاقها ، ثم هوى بسيفه على عنق الأفعى الأخير ، بكل ما يملك من قوة وبأس ..

تدفّقت دماء الأفعى غزيرة من رءوسها المقطوعة ، وسالت كأنهار من الدم فى الممر ، وتوقّف (نور) مشدوهًا ، حينما تدفّقت مياه غزيرة من فتحات متعددة على جانبى الممر ، وغسلت الدماء فى قوّة ، ودفعتها دفعًا إلى فتحات كبيرة أسفل الممرّ ..



قفز (نور) قفزة قوية ماهرة وتعلّق بالعنق الأخير للأفعى ،
قبل أن تغمد أنيابها السامة فى جسد (كوندور) ..

كان من الواضح أنه نظام تنظيف طارئ ، يعمل آليًا كباقى أجزاء المكان ..

أسرع (نور) نحو (كوندور) ، وتحسس جبينه ، وهو يهتف فى جزع :

ــ هل (كوندور) بخير ؟

فتح (كوندور) عينيه فى ضعف ، وغمغم فى وهن :

ــ (كوندور) أصبح قريبًا من عالم الظلال .. ولكن (كوندور) لا يخاف عالم الظلال .

هتف (نور) فى لوعة :

ــ كلا يا (كوندور) .. كلا ..

ثم حمله فى إصرار ، وتقدّم نحو الباب المعدنى الآخر ، وهو يهتف فى جزع :

ــ إن هذا النظام الدقيق لن يخلو من أسلوب علاجى .. مستحيل أن أفقدك الآن يا (كوندور) .

وضغط الزر المجاور للباب الثانى ، وهو يواصل فى توتر بالغ :

ــ هل تسمعنى يا (كوندور) ؟ .. إننى لن أفقدك الآن .. هل تسمعنى ؟

ولكنه شعر بجسد (كوندور) يتراخى ، وبأنفاسه تبطئ وتشحب ، وبنبضه يهن ويخفت ، فصاح فى ألم :

ـــ (كوندور) !!

وأسرع يرقده على أرض الممرّ ، ويحاول إنعاشه فى عصبية وحزن ، ولكن كان من الواضح أن (كوندور) يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وأن (نور) عاجز عن معاونته .

شعر (نور) بيأسه وعجزه ، وارتجَّ المكان بصرخة الحزن والألم ، التى انطلقت من أعماقه اليائسة المقهورة ، وهو يهتف :

ـــ كلاَّ يا (كوندور) !!

وفجأة غمره ضوء فيروزى قوى ، انتزعه من مشاعره وانفعالاته ، فالتفت إلى الباب المعدنى ، الذى فتح على مصراعيه ، وتطلّع فى ذهول إلى مخروط بلّورى أخضر ، يتوسط قاعدة من الكريستال النقىّ ، ويشع بضوء فيروزىّ قوىّ ، وغمغم (نور) فى انبهار :

ـــ جوهرة الخلود !!

★ ★ ★

١٤ ـــ جوهرة الخلود ..

اتسعت عينا (نور) فى انبهار ، وهو يتطلع إلى جوهرة الخلود ، وغمره الضوء الفيروزى القوىّ ، وخلب لبه تمامًا ، حتى أنه نسى كل ما حوله ، ومن حوله ..

نسى تلك الأفعى الصريعة على قيد خطوات منه ..

نسى كل أهوال الأرض المحرَّمة ..

نسى حتى (كوندور) ، الذى يلفظ أنفاسه إلى جواره ..

وراوده شعور عجيب بالقوَّة ..

شعر بالنشاط يسرى فى خلاياه ، وبالحيوية تتدفق مع دمائه ..

وكان مسمَّرًا من شدة انبهاره ، حينما سمع صوتًا من خلفه يغمغم :

ـــ إذن فهذه هى جوهرة الخلود !

التفت إلى مصدر الصوت فى لهفة ، وارتجف جسده فى سعادة ، حينما رأى (كوندور) إلى جواره ، يتطلَّع بدوره منبهرًا ، إلى جوهرة الخلود ..

هتف (نور) فى سعادة غامرة :

ـــ (كوندور) ، ما أسعدنى بتعافيك !!

قلّب (كوندور) كفيه فى حَيْرة ، وقال :

ـــ منذ لحظات كان (كوندور) يلفظ أنفاسه الأخيرة يا أخى ، وفجأة غمره ضوء جوهرة الخلود ، فشعر بالنشاط والقوة .. انظر يا أخى .. لقد التأمت جراح (كوندور) كلها ، وكأنها لم تكن .

تطلّع (نور) فى دهشة إلى جسد (كوندور) القوىّ ، الذى يبدو خاليًا ، حتى من أى خدش بسيط ، ثم عاد يلتفت إلى جوهرة الخلود ، مغمغمًا :

ـــ إنها الجوهرة يا صديقى ..

هتف (كوندور) فى انبهار :

ـــ إنه سحر الآلهة .

نهض (نور) ، واتجه إلى الجوهرة الخضراء ، وهو يغمغم :

ـــ بل هو نوع من الأشعة المنشِّطة للخلايا يا صديقى .. نوع متطوِّر من حلم الأطباء والعلماء على مرّ العصور .

مدّ (كوندور) كفه يتحسّس الجوهرة ، ثم أبعده فى حِدَّة ، وهو يهتف :

ـــ إنها باردة كالثلج .

ثم عاد يتحسسها ، وهو يغمغم فى انبهار :

ـــ ولكنها تستحق كل ما بُذِلَ من أجلها .

وعاد يضرب بكفه على صدره ، ويردف :

ـــ لقد منحت (كوندور) القوة .. أكثر بكثير مما كان لديه .. سيصبح (كوندور) عظيمًا ، وسيهزم (هيدا) و ..

صاح (نور) فى حِدَّة :

ـــ كفى يا (كوندور) .

ثم التقط الجوهرة ، وقال فى صرامة :

ـــ لقد أساءت هذه الجوهرة إلى شعبك طويلاً ، ولن يتكرّر هذا أبدًا .

استل (كوندور) سيفه ، وشهره فى وجه (نور) ، وهو يقول فى حِدَّة :

ـــ اترك الجوهرة أيها الغريب .. إن (هيدا) لن تحصل عليها أبدًا .. إنها من حق (كوندور) .

قال (نور) فى صرامة :

ـــ كلاًّ يا (كوندور) ، لن يشهد شعبك عهدًا جديدًا من الديكتاتورية البغيضة .

هتف (كوندور) فى غضب :

ـــ اترك الجوهرة .

هزّ (نور) رأسه نفيًا فى هدوء ، وقال :

ـــ مطلقًا يا (كوندور) .. مطلقًا يا صديقى .

وفى حركة قوية مباغتة ، ألقى (نور) جوهرة الخلود على أرض الحجرة ، فتحطمت ، وتناثرت شظاياها فى قوة ، وخبا ضوءها الفيروزى ، فصرخ (كوندور) فى غضب ، وهو يلوّح بسيفه ساخطًا :

ـــ ماذا فعلت أيها المعتوه ؟

أجابه (نور) فى حزم :

ـــ لقد منعتك من التحول إلى ديكتاتور بغيض يا صديقى (كوندور) ، ومنحتك الفرصة لتظل محاربًا شجاعًا ، يتناقل أحفاده قصته فى فخر وشمم .

لاح الغضب فى عينى (كوندور) لحظة ، ثم تلاشى ، وهو يعيد سيفه إلى غمده فى صمت ، قبل أن يقترب من (نور) ، ويضع يده على كتفه فى قوة ، وقال :

ـــ لقد أنقذت (كوندور) مرة ثانية أيها الغريب الحكيم .

ابتسم (نور) فى ارتياح ، وقال :

ـــ (كوندور) سيظل أبدًا محاربًا عظيمًا .

ثم أشار جانبًا ، وقال :

ـــ ولكن مازال أمامنا باب آخر يا صديقى ، ولا أحد يدرى ما سيواجهنا خلفه .

★ ★ ★

تحرّك الباب الثالث فى بطء وهدوء ، كاشفًا عن أروع مشهد وقعت عليه عينا (نور) .. أضخم وحدة كمبيوتر عرفها الكون .

آلاف الأزرار ، مختلفة الألوان والأحجام ، وشاشة واحدة هائلة ، ارتسم فوقها نموذج للفضاء كله .. بل للكون كله ..

كل المجرات والشموس والكواكب والنجوم ..

إنه الكمبيوتر الأم ، الذى يدير كل شىء .

تراجع (كوندور) ، وهو يغمغم فى ذهول شديد ، فاق ذهوله فى كل المرات السابقة :

ـــ بحق الآلهة .. إنه قلب الكون كله .

وقف (نور) يتأمّل الكمبيوتر الأم فى انبهار شديد ، وهو يغمغم :

ـــ ولكن لماذا كل هذا ؟ .. لماذا ؟

تواردت الأحداث والمشاهد فى عقله بسرعة ، ولهثت خلاياه وهو يستعيد كل نقاط الغموض فى رأسه دفعة واحدة ، ويرتّبها ، وينظمها بحثًا عن تفسير مقنع ..

استعاد كل ما سمعه .. كل ما شاهده .. كل ما قرأه .. كل ما تعلّمه .

وازداد لهاث خلايا عقله ، والتهابها ، وإرهاقها ..

وغمغم (كوندور) فى حَيْرة :

ــ ترى هل كانت (هيدا) تعلم كل هذا ؟

تألّقت عينا (نور) ببريق قوى مألوف ، وقفز يمسك كتفى (كوندور) فى قوة ، وهو يهتف فى حماس أدهش هذا الأخير :

ــ بالطبع يا صديقى .. لقد كانت تعلم بوجود هذا كله .. لقد أرشدتنى إلى الجزء الناقص لتفسير هذا اللغز بسؤالك يا صديقى .. أنت عظيم يا (كوندور) .. عظيم .. لقد انتصرنا بفضلك .. انتصرنا على الأرض المحرّمة ، وعلى هذا النظام كله .

* * *

١٥ ــ اللغز العظيم ..

حدّق (كوندور) فى وجه (نور) بدهشة ، وغمغم فى حَيْرة :

ــ ماذا حدث يا أخى ؟ .. ماذا تقصد بحديثك هذا ؟

ربّت (نور) على كتفه فى قوة ، وهو يقول فى انفعال :

ــ إنك لن تنجح فى استيعاب الجزء الأكبر من حديثى يا صديقى ، ولكننى سأخبرك به ، فأنا فى أشد الحاجة للحديث عما توصلت إليه .. استمع إلىّ فقط يا صديقى .

هزّ (كوندور) كتفيه فى حَيْرة ، وقال :

ــ كلىّ آذان صاغية يا أخى .

قال (نور) فى حرارة :

ــ إن هذا المكان الذى تعيشون فيه ليس كوكبًا بالمعنى الصحيح يا (كوندور) .. إنه فى الواقع أشبه بمزرعة تجارب ، أعدتها مخلوقات من كوكب شديد التطور ، لدراسة سلوك مخلوقات كوكب الأرض ، وقدرتها على التطوّر .

غمغم (كوندور) فى دهشة :

ــ ماذا ؟

تابع (نور) ، دون أن يلتفت إلى دهشته :

ـــ انظر إلى كوكبك يا (كوندور) .. إنه كوكب صناعى محض ، أُعدّ باستخدام تكنولوچيا بالغة التطوُّر ، يماثل كوكب الأرض تمامًا ، فى مناخه ، وجاذبيته ، وهوائه .. فى كل شىء ، حتى درجة حرارته ، وتعاقب ليله ونهاره ، وهذه الأجهزة التى تراها حولك فى كل مكان مهمتها حفظ هذه الظروف إلى فترة طويلة للغاية ..

صمت (نور) لحظة ، ليلتقط أنفاسه ، ثم عاد يقول فى انفعال :

ـــ وحتى العقبة الكبرى ، التى واجهت صانعى هذا الكوكب ، ألا وهى وجود الشمس والقمر ، أمكنهم الاستعاضة عنهما بتلك الكرة الضوئية الهائلة ، التى تشع ضوءًا أصفر فى الصباح ، يبدأ خافتًا ، ويتضاعف تدريجيًّا ، حتى يوحى بشروق الشمس ، ثم يعود ليخفت تدريجيًّا أيضًا ، موحيًا بالغروب ، ويتحوَّل حينذاك إلى ضوء أزرق ، يشبه ضوء القمر .

ولوَّح بذراعيه ، وهو يستطرد :

ـــ قمة الإتقان ، والكفاءة التكنولوچية .. محاكاة مذهلة رائعة .

هتف (كوندور) فى حَيْرة :

ـــ الـ .. ماذا ؟

مرة أخرى لم يلتفت (نور) إلى دهشته ، وهو يواصل حديثه ، قائلًا :

ـــ ولقد برزت الفكرة فى رأس صانعى هذا الكوكب ، حينما زاروا الأرض منذ عشرات القرون ، وحصلوا على أول عينات بشرية وحيوانية من هناك ، أيام كانت اللغة السنسكريتية هى اللغة الشائعة ، ولم يكتف زوار الفضاء هؤلاء بزيارة الأرض ، وأسر العينات اللازمة ، بل أجروا بعض التجارب ، فيما نعرفه منذ النصف الثانى للقرن العشرين باسم (هندسة الوراثة(*)) ، وأنتجت تجاربهم تلك الأشياء العجيبة ، والمخلوقات الغريبة البشعة ، التى واجهناها هنا ، مثل (أبى الهول) ، وعرائس البحر المفترسة ، و (السيكلوب) ، والحية ذات الرءوس الثلاثة ، واصطحبوا نتائج تجاربهم العجيبة ،والتى تحوّلت فى كوكب الأرض إلى نوع من الأساطير ، التى كنا نظن جميعًا أنها مجرد خيال محض ، ووضعوا

(*) هندسة الوراثة : نوع من العلوم المتطوِّرة ، يبحث نقل الجينات الوراثية واختيارها داخل الكائن الواحد ، أو نقلها إلى كائن آخر ، ولقد قطعت شوطًا طويلًا فى عصرنا هذا .

هذه المخلوقات هنا ، فى المنطقة التى أطلقوا عليها اسم (الأرض المحرَّمة) وأعدوها لهبوط سفنهم الفضائية ، التى تقل علماءهم ، لدراسة تطوُّركم على مرّ العصور ، ولحماية أجهزتهم المتطوِّرة ، التى تحافظ على سلامة الكوكب .

مطّ (كوندور) شفتيه ، وكأنه يعلن عجزه عن متابعة حديث (نور) ، الذى استطرد فى اهتمام :

ـ ولما كانوا يعلمون ضرورة وجود قائد يجمع كل مخلوقات الدراسة ، اختاروا (هيدا) ، وأرشدوها إلى (جوهرة الخلود) ، التى تسمح لها بتجديد خلاياها باستمرار ، والحصول على ما يبدو لكم خلودًا ، ومنحوها نتاجًا جديدًا من نواتج تجاربهم فى هندسة الوراثة ، وأقصد ذلك الحصان المجنّح (البيجاز) ، ولقد كانوا يصطحبونها إلى هنا ما بين فترة وأخرى ، لمنحها جرعة جديدة من الأشعة المنشّطة حتى حدث الخلل .

سأله (كوندور) فى ضجر :

ـ أى خلل ؟

هتف (نور) فى حماس :

ـ لا ريب أن هذا الكوكب لم يَعُدَّ للسير فى خط مستقيم ،

وإلّا بات من العسير على صانعيه متابعته ، ودراسة تطوّركم ، ولجوءه إلى هذا المسار العجيب يؤكد أحد أمرين ، إما أن الكوكب الذى صنع هذا الكوكب الصناعى قد تعرّض لكارثة ما ، أخرجت كوكبك عن مساره ، وأفقدتهم الاتصال به ، أو أن حضارة صانعى كوكبك قد انهارت واندثرت ، وتركت كوكبك تحت قيادة الآلات المتطوّرة ، المعدة للعمل بلا نهاية تقريبًا ، والتى حدث فيها خلل ما ، جعلها تتخذ مسارًا غريبًا ، ولكنه مأمون فى الوقت ذاته ؛ لأن تلك الآلات المتطوّرة ستمنع هذا الكوكب من الدخول فى أى مجال جذب لأى كوكب آخر .. المهم أن هذا الخلل منع (هيدا) من الحصول على جرعتها من الأشعة المنشّطة ، وأصبحت معرّضة للفناء ، كما يحدث لكل البشر ، خاصةً وهى تعلم أن الوسيلة الوحيدة للوصول إلى جوهرة الخلود ، هى اجتياز أهوال الأرض المحرمة .

اعتدل (كوندور) ، وهو يسأل فى اهتمام :

ـ إذن فقد كانت تعلم ذلك !

أجابه (نور) :

ـ بالطبع يا صديقى ، وكانت تأمل فى أن ننجح نحن فيما تعجز هى عنه .

تألقت عينا (كوندور) ببريق خبيث ، وهو يغمغم :

ـــ ولكننا خدعناها وحطمنا جوهرة الخلود .

أطلق (نور) ضحكة عالية ، وقال :

ـــ نعم يا صديقى .. لقد خدعنا (هيدا) ، وحللنا أعظم لغز فى الكون كله ، وإننى لفخور بذلك .

تجهم وجه (كوندور) بغتة ، وقال :

ـــ ولكنك نسيت نقطة هامة يا أخى .

سأله (نور) فى اهتمام :

ـــ أية نقطة يا صديقى ؟

عقد (كوندور) حاجبيه الكثين ، وقال :

ـــ رفاقك أيها الغريب .. لو أننا لم نعد إلى (هيدا) بجوهرة الخلود ، فى الوقت المحدود ، فسيكون رفاقك هم الثمن .

شحب وجه (نور) فى دهشة ، وتبخر من رأسه كل أثر للظفر ، بعد نجاحه فى حل هذا اللغز العظيم ، وغمغم فى شحوب وتوتر بالغين :

ـــ يا إلهى !!.. هذا صحيح ..!! لقد نسيت رفاق يا (كوندور) !! نسيت مهمتى كلها !!

★ ★ ★

١٦ ـــ ومضى الوقت سريعًا ..

تحرّكت (سلوى) فى عصبية ، داخل الجدران الذهبية للسجن ، الذى وضعتهم فيه (هيدا) ، وهى تفرك كفيها فى قلق وتوتر ، حتى غمغم (رمزى) :

ـــ اهدئى يا سلوى .. سيعود (نور) سالمًا بإذن الله .

هتف فى ألم :

ـــ الله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم ما يواجه (نور) الآن يا (رمزى) ، هذا إذا كان على قيد الحياة ، فلقد مضت أربعة أيام منذ ذهابه إلى تلك المنطقة المعروفة باسم (الأرض المحرَّمة) ، التى تثير فزع هؤلاء القوم .

حاول أن يخفى توتُّره ، وهو يقول :

ـــ ولكننى واثق من أنه سيعود منتصرًا بإذن الله .

غمغم (محمود) فى صوت يشف عن قلق بالغ :

ـــ المهم أن يعود فى الوقت المناسب يا (رمزى) .

سألته (سلوى) :

ـــ ماذا تعنى ؟

تنهّد فى توتُّر ، قبل أن يقول :

ـــ إن حجم هذا الكوكب يبلغ ثلاثة أرباع حجم الكرة

الأرضية ، وهذا يعنى أن اليوم الواحد فيه يساوى ثلاثة أرباع اليوم فى كوكب الأرض ، ولقد قضينا فى هذا السجن خمسة أيام ، يوم جلبتنا فيه (هيدا) إليه ، وأربعة أيام منذ انصرف (نور) فى مهمته ، والصاروخ الذى أقلنا إلى هنا سيعود تلقائيًا إلى كوكب الأرض ، بعد ستة أيام أرضية ، أى يساوى سبعة أيام ونصف من أيام كوكب الأساطير هذا ، وهذا يعنى أنه بقى أمامنا يومان ونصف فقط ، من أيام هذا الكوكب ، قبل أن يرحل الصاروخ ، ونشارك أهل هذا الكوكب مصيره المحتوم ، الذى أعده له علماؤنا .

شحب وجه (سلوى) فى فزع ، وغمغم (رمزى) فى توتُّر :

ـــ من المستحيل أن ينسف علماؤنا كوكبا مأهولاً بالسكان .

هتف (محمود) فى حَنَق :

ـــ وما أدراهم أنه كذلك ؟

ألجم الجواب (رمزى) ، وارتجف جسد (سلوى) ، التى هتفت فى لوْعَة :

ـــ سيعود (نور) فى الوقت المناسب .. سيعود وإلّا فنينا جميعًا .

* * *

عقد (كوندور) حاجبيه الكثّين ، وهو يتطلّع فى سخط إلى (نور) ، الذى انهمك فى دراسة الكمبيوتر العملاق ، ومتابعة الصورة الواضحة على شاشته الضخمة ، ثم هتف فى حَنق :

ـــ (كوندور) عاجز عن فهمك أيُّها الغريب .. أنت تعلم أن رفاقك معرّضون لخطر الموت قتلاً ، على يد (هيدا) التى لا ترحم ، ولكنك تضيع يومًا كاملاً فى معابثة هذا الشىء الضخم .

قاوم (نور) الألم الذى يعتصر قلبه ، وهو يقول فى حزن :

ـــ (كوندور) لا يعلم أننى أفعل ذلك من أجل رفاق ، ومن أجل (كوندور) وشعبه أيضًا .

وصمت لحظة ، يمنع نفسه من الانفجار باكيًا ، ثم استطرد .

ـــ إن علماء كوكبى يظنون أن مسار كوكب (كوندور) يهددهم بالفناء ، ولقد أعدوا خطة لتدميره تمامًا ، دون أن يدروا أنه مأهول بالسكان ، وأن أجهزته العملاقة المتطوّرة ستؤمن له الحماية والنجاة ، ولقد أتيت إلى هنا مع رفاق فى صاروخ مبرمج ، سيعود إلى كوكبه تلقائيًا بعد يومين ونصف

من أيام كوكبك . ولو أنه رحل دوننا سينسف علماء كوكبى كوكبك بلا تردد ، و (هيدا) تحتجز رفاق فى الوقت نفسه ، وتهدد بقتلهم ، ما لم نعد إليها بعد ثلاثة أيام . حاملين تلك الجوهرة ، التى حطمناها تمامًا هنا .

تنهد مرة أخرى فى عمق ، قبل أن يردف فى حزن متزايد :

ــ ولقد أتينا إلى هنا فى ثلاثة أيام ، على متن جوادين قويين ، نهبا الأرض نهبًا ، ولن يمكننا العودة دونهما فى الوقت المناسب ، والأمل الوحيد إذن هو إن نمنع علماءنا من نسف هذا الكوكب ، عن طريق تعديل مساره ، وإبعاده عن مجموعتنا الشمسية ، حتى يطمئن العلماء ، ويعدلون عن فكرة تحطيم كوكبك ، وتكون لدينا فرصة فى الوقت ذاته ، إذا أجلت (هيدا) تنفيذ وعيدها ، ثم إنه ينبغى أن يبدأ تعديل المسار هذا بعد موعد انطلاق الصاروخ ، حتى لا نخل ببرنامجه ، إذا ما تيسرت فرصة غير متوقعة لعودتنا فى الموعد المناسب ، وأمكننا مغادرة كوكبك على متنه .

وزفر مرة أخرى ، قبل أن يغمغم فى ألم :

ــ هل رأيت كيف هى شديدة التعقيد مهمتى هذه المرة يا صديقى ؟ .. خاصة وأن معلوماتى حول برمجة الكمبيوتر ليست عظيمة إلى هذا الحد .

هز (كوندور) رأسه فى حيرة ، وقال :

ــ لقد اعتاد (كوندور) عدم فهم الغريب ، ولكنه يسأل ، كم أمامك من وقت ، حتى تفعل كل هذا ؟

عض (نور) شفتيه السفلى فى قهر ، وهو يقول :

ــ هذا هو أصعب جزء فى الأمر يا صديقى ، فإنجاز كل هذا يحتاج إلى يوم كامل على الأقل .

هتف (كوندور) فى مزيج من الدهشة والسخط :

ــ يوم آخر ؟! .. فى هذه الحالة لن يكون هناك أمل يا أخى .. لن يكون هناك أمل على الإطلاق .

اغرورقت عينا (نور) بالدموع ، وهو يغمغم :

ــ ليس أمامى سوى ذلك يا (كوندور) .. ليس أمامى إلا محاربة الوقت ، والله (سبحانه وتعالى) وحده يعلم كيف سينتهى بنا الأمر .

* * *

لم يذق (نور) طعم النوم لحظة واحدة طيلة ذلك اليوم .. مضى يعمل .. ويعمل .. ويعمل دون كلل أو شكوى ، و (كوندور) يراقبه فى دهشة وتعجب ، وقد أثار إصرار (نور) المذهل إعجابه واحترامه ..

كان كمقاتل صنديد يعلم قيمة الصلابة والإصرار ، وكان يحترمهما فى شدة ، حتى أنه لم يشر لحظة واحدة إلى شعوره بالجوع الشديد ، ولا إلى قلقه وتوتره ..

ومضى الوقت فى سرعة رهيبة ، و (نور) ملتصق بالكمبيوتر العملاق ، يسبر أغواره ، ويحاول إجباره على طاعته ، والاستجابة له ..

وكانت كرة الضوء قد بدأت تشع بلون أصفر هادئ ، حينما ندّت من صدر (نور) تنهيدة قويَّة ، وجفّف العرق الغزير الذى يغطّى وجهه ، واسترخى فى مقعده ، وهو يغمغم فى ارتياح :

ـــ لقد نجحت .

تهللت أسارير (كوندور) ، وهتف :

ـــ لقد نجا شعب (أندروميد) .. أليس كذلك ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وغمغم :

ـــ نعم يا (كوندور) .. لقد نجا شعبك .

كان يتوقع صيحة ظفر من أعماق (كوندور) ، ولكنه لم يسمعها ، فالتفت إليه قائلاً :

ـــ ألا يسعدك هذا يا (كوندور) ؟

ولكن عينى (كوندور) كانتا تحدّقان فى باب حجرة الكمبيوتر الأم ، وكانت قبضته تمسك مقبض سيفه فى قوة ، وعيناه تتألقان فى صرامة ، وسمعه (نور) يغمغم فى حزم :

ـــ (هيدا) .

التفت (نور) فى حِدَّة إلى حيث يحدّق (كوندور) ، واتسعت عيناه فى دهشة بالغة ..

فهناك .. عند باب حجرة الكمبيوتر الأم كانت تقف (هيدا) ..

كانت تمسك بسيفها فى قوة ، وتبتسم فى سخرية ، وشعرها الذهبى ملقى خلف ظهرها ، وعيناها تتألقان ببريق مخيف ، وكان صوتها رقيقًا هادئًا ، يحمل خلف رقته شراسة لا حدود لها ، تجلّت فى شفتيها الحمراوين المضمومتين ، وهى تقول :

ـــ إذن فقد نجحت .. تهنئاتى أيها الغريب ، ولكنك لن تهزم (هيدا) لن تهزمها أبدًا .

* * *

١٧ ــ المرأة الخارقة ..

ظلّ (نور) و (كوندور) يحدّقان فى وجه (هيدا) طويلاً ، قبل أن يسألها (كوندور) فى صرامة :

ــ كيف وصلت إلى هنا يا (هيدا) ؟

تألق بريق ساخر فى عينيها ، وهى تقول :

ــ لقد علّمتنى الحياة الطويلة التى عشتها ألا أثق بأحد يا عزيزى (كوندور) ، وألا أترك أى شىء للمصادفات وأن أتوقّع كل الاحتمالات ، حتى العجيب منها .. وحينما أرسلتكما إلى هنا كنت أعلم أن الغريب سيمكنه الوصول إلى جوهرة الخلود ؛ لأن علومه تبدو شبيهة بعلوم أسياد الكوكب ، الذين توقفوا عن زيارتى منذ قرن كامل ، ولكننى كنت أتوقع أن يحاول هو استغلال جوهرة الخلود لصالحه ، أو أن تحاول أنت ذلك يا (كوندور) .

أطلقت ضحكة قصيرة ، تجمع ما بين السخرية والشراسة ، قبل أن تردف :

ــ لم تكن أعمدة الموت تخيفنى ، فجوادى الطائر يعبرها فى سلاسة ، ولا تلك الوحوش ذات الرءوس الآدمية ، فهى على الجانب الآخر من الشاطئ ، ولكن مشكلتى كانت تلك

المخلوقات نصف السمكية ، و (السيكلوب) ، ولقد تركتكما تقاتلانها ، وتهزمانها ، ولقد نجحتما حتى فى قتل الأفعى ذات الثلاثة الرءوس ، وأصبح طريقى إلى جوهرة الخلود مأمونًا .

شهر (كوندور) سيفه بغتةً ، وهو يهتف فى حزم :

ــ إنك لن تحصلى على شىء يا (هيدا) .

أطلقت ضحكة عالية ، وقالت :

ــ هل تظن ذلك يا عزيزى (كوندور) ؟ .. لقد فتحتما لى الطريق إلى قلب الأرض المحرَّمة ، ولم يعد هناك ما يمنعنى من العيش إلى الأبد ، دون الحاجة إلى أسياد الكوكب .

قال (نور) فى برود :

ــ لن يمكنك ذلك يا (هيدا) .

ابتسمت فى سخرية ، وهى تلتفت إليه قائلةً :

ــ وكيف سيمكنك منعى أيها الغريب ؟ .. لقد أمرت رجالى بقتل رفاقك إذا ما خبا الضوء قبْل عودتى ، ولكننى بعد قتلكما سأعود لأتمتع بقتلهم بنفسى .

هتف (نور) فى غضب :

ــ أيتها الحقيرة !!

وصرخ (كوندور) فى قوة :

ــ أنت كتلة من الشر يا (هيدا) .

واندفع نحوها فى شجاعة ، والتحم سيفاهما ، وارتفع صليل السيوف فى حجرة الكمبيوتر الأم ..

★ ★ ★

كان (نور) يتصوَّر أن (كوندور) بقوته ، وعضلاته المفتولة ، سيطيح بـ (هيدا) مع الضربة الأولى ؛ لذا فقد اتسعت عيناه فى دهشة ، حينما صدّت (هيدا) ضربته فى قوة لا تتناسب وأنوثتها ، وردتها له قوية عنيفة ، وهى تتحرّك فى خفة مدهشة ..

تبادل الخصمان ضربات السيوف طويلاً ، ثم ابتعدا ، وكلاهما يحدّق فى وجه الآخر بشراسة ، وقال (كوندور) فى قوة :

ـ (كوندور) أيضًا ذاق جوهرة الخلود .

اطلقت (هيدا) ضحكة شيطانية مخيفة ، قبل أن تقول فى سخرية :

ـ وهل يظن (كوندور) أن سادة الكوكب قد منحوا (هيدا) الخلود فحسب ؟ .. إن (هيدا) تملك قوة لا يملكها بشر فى الكون كله .. قوة أسياد الكوكب .

عاد (كوندور) يصرخ فى غضب :

ـ الموت لـ (هيدا) .

جاوبته صرختها :

ـ الموت لـ (كوندور) .

وعادت السيوف تتصارع فى قوة وإصرار ، وكل من الخصمين يحاور الآخر ويناوره فى مهارة مذهلة ، أمام (نور) ، الذى سمّره الموقف تمامًا ..

وأخيرًا حانت لـ (كوندور) ثغرة فى دفاع (هيدا) ، فصرخ فى بأس :

ـ فلتذهب (هيدا) إلى أرض الظلال .

وارتطم سيفه بصدر (هيدا) فى قوة ..

★ ★ ★

تراجع (كوندور) فى ذهول ، وهتف (نور) فى ذهول لا يقل عن ذهوله :

ـ يا إلهى !! .. مستحيل !!

فالسيف الحاد القوىّ لم يقتل (هيدا) ..

كل ما فعله هو أن مزّق ثوبها الجلدى ، وتحطّم نصله على صدرها ..

وأطلقت (هيدا) ضحكة كالموت ، ثم اندفعت فى رشاقة



فالسيف الحاد القوىّ لم يقتل (هيدا) .. كل ما فعله
هو أن مزق ثوبها الجلدى ، وتحطَّم نصله على صدرها ..

تغمد سيفها فى ذراع (كوندور) ، وتنتزعه فى قوة ، وتهاوى (كوندور) فى ألم وذهول ، وهو يمسك ذراعه الممزّقة ، فى حين عادت (هيدا) تطلق ضحكتها المخيفة ، وتقول فى شراسة :

ــ لقد كانت (هيدا) تعابثك ، حينما قبلت مقارعتك بالسيوف أيها الغبى (كوندور) إن (هيدا) لا تُقْهَرُ .. لا تُهْزَمُ .. لا تموت .. (هيدا) هى الملكة التى .. لا تزول أبدًا .

ثم استدارت إلى (نور) ، وقالت فى شراسة :

ــ أين جوهرة الخلود أيها الغريب ؟ ..

عقد (نور) حاجبيه ، وهو يقول فى صرامة :

ــ محال يا (هيدا) .

ألقت سيفها جانبًا فى غضب ، وجذبته من سترته ، وهى تصرخ :

ــ أين جوهرة الخلود ؟

ابتسم (نور) فى سخرية ، وهو يقول :

ــ أيهمك أمرها إلى هذا الحد يا (هيدا) ؟

تملكه ذهول شديد ، حينما رفعته بقبضتها كما لو كان دُمْيَة

صغيرة ، وقذفت به إلى الحائط ، فارتطم فى قوة ، وسقط وهو يشعر بآلام مُبرِّحة فى عظامه كلها ، وعادت هى تنتزعه من مكانه فى قوة ، وتصرخ فى جنون :

ــ أين جوهرة الخلود أيها الغريب .. أخبرنى قبل أن يفوت الوقت .. أين هى ؟

صاح (نور) فى عناد :

ــ لقد تحطمت يا (هيدا) .. حطمتها إلى شظايا صغيرة .

ارتسم فزع هائل على وجهها ، وتراخت قبضتاها ، وأفلت (نور) من قبضتها وهى تهتف فى صوت مختنق :

ــ حطمتها ؟! .. حطمت جوهرة الخلود ؟

نهض (نور) ، وهو يقول فى صرامة :

ــ نعم يا (هيدا) حطَّمتها .. حطمت مصدر قوتك .

ارتجفت خلجات وجهها بمزيج من الغضب والفزع ، ثم صرخت فى قوة ووحشية :

ــ أيها التعس !! إنك لا تدرك ما فعلت .

ثم انقضَّت عليه ، وحملته فى قوة ، ودفعته إلى الحائط ، وهى تصرخ :

ــ أيها الغريب الحقير !! سأقتلك .. إنك لن تشهد أبدًا مصرع (هيدا) .

وأحاط كفاها بعنقه فى قوة هائلة خارقة ..

★ ★ ★

١٨ ــ ثمن الخلود ..

جحظت عينا (نور) ، وصار يناضل لالتقاط أنفاسه ، وهو يحدّق فى وجه (هيدا) الفاتن ، الذى بدا له من هذه اللحظة أقبح وجه فى الوجود .

وفجأة تراخت قبضتا (هيدا) من حول عنقه ، وارتسم رعب رهيب على وجهها ، وتصوَّر (نور) أن عينيه تخدعانه ، أو أن ضغط (هيدا) على عنقه قد أفسد بصره ، فقد رأى وجه (هيدا) يتغضّن ، وملامحها تهرم وتشيخ ..

كاد يتصوَّر أنه يحلم ، لولا أن نهض (كوندور) فى ذهول ، وغمغم وهو يحدّق فى (هيدا) بدوره :

ــ يا لآلهة الجحيم ؟!

كانت بشرة (هيدا) الصافية تتجعّد ، وكفاها ينحلان ، ويجفّان ، وتبرز عظامهما فى مشهد عجيب مخيف ..

وكان الشيب يزحف بسرعة مذهلة فى شعرها الذهبى ، الذى فقد تألّقه وبريقه ، وهى تترنح فى رعب ، والألم يرتسم على وجهها فى وضوح .

كانت السنوات ، التى انتزعتها (هيدا) من عمر الزمن تسترد آثارها فى ثوان معدودة .. عشرات القرون ، التى

عاشتها (هيدا) ، تزحف على جسدها فى لحظات معدودة ..

وانحنى ظهر (هيدا) ، وبدت ملامحها كعجوز فى التسعين ، وخبا بريق عينيها ، وتهاوت على الأرض ككومة من عظام بالية ..

ظل (كوندور) و (نور) يتطلّعان فى ذهول إلى جلدها وهو يتساقط ، وعظامها وهى تبلى وتتقادم ، حتى استحالت (هيدا) التى لا تموت إلى كومة من التراب ..

فنيت (هيدا) التى تُهزَمُ .. وانتهت (هيدا) التى لا تُقهَرُ ..

ظلّا صامتين فترة ، ثم غمغم (كوندور) فى صرامة :

— هل تسمع شيئًا يا أخى الغريب ؟

أنصت (نور) لحظة ، ولكن السكون كان يخيّم على المكان تمامًا ، فسأله فى دهشة :

— لا يا (كوندور) .. هل تسمع أنت شيئًا ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال فى صوت عميق :

— نعم يا أخى .. أسمع ضحكة (خرونوس) — إلـٰه الزمن — الساخرة ، وهو يتطلع إلى كومة التراب ، التى تبقت من (هيدا) التى لا تموت .

* * *

تراجع أفراد الفريق فى دهشة وتوتُّر ، حينما اقتحم رجال (هيدا) سجنهم ، وانتزعوهم منه عنوة ، وجذبوهم إلى خارج القصر الذهبى ، حيث أخذوا يقيدونهم إلى ثلاثة أعمدة معدنية ، وسط ساحة خالية ، وهتفت (سلوى) فى ذعر ، وهى تتطلّع إلى رقصتهم الهمجية حولهم :

— ماذا يفعلون ؟ .. ماذا يريدون منا ؟

شحب وجه (رمزى) ، وهو يقول :

— أخشى أنهم يعدّوننا لمصرعنا يا (سلوى) .

جحظت عيناها فى رعب ، وهتف (محمود) فى ذعر :

— مصرعنا ؟! .. هذا مستحيل يا (رمزى) .. المهلة التى منحتها (هيدا) لـ (نور) لم تنته بعد .

ارتجف جسد (رمزى) ، وهو يهتف :

— يا إلـٰهى !! انظروا .

تطلّع الجميع إلى حيث ينظر ، وتفجّر رعب هائل فى أعماقهم ، فقد كان شعب (أندروميد) يدفع إلى الساحة قفصًا خشبيًّا ، يتحرّك داخله فى وحشية وشراسة غوريلا ضخم ، وصرخت (سلوى) ، وقد بلغ منها الرعب مبلغه :

— لابدّ أن يصل (نور) .. لابدّ .

* * *

حاول (كوندور) أن يوقف تدفق الدماء الغزيرة ، من الجرح الغائر فى ذراعه ، وهو يقول فى قلق :

ــ لقد هزمنا (هيدا) يا صديقى ، ولكننا لن ننجح فى إنقاذ رفاقك .

كانا يصعدان داخل الأنبوب فى هذه اللحظة ، وقال (نور) فى هدوء :

ــ لو أن استنتاجى صحيح ، فسنجد وسيلة مناسبة للعودة يا (كوندور) .

توقّف الأنبوب فى الممر العلوى ، وغادراه حينما كان (كوندور) يسأل :

ــ أية وسيلة هذه يا أخى ؟

أسرع (نور) الخطا خلال الممر ، وهو يقول :

ــ سرعان ما تراها يا صديقى .

وصلا إلى الشاطئ ، خارج مقر سادة الكوكب ، وتنهّد (نور) فى ارتياح ، وهو يشير إلى الشاطئ قائلاً :

ــ ها هى ذى وسيلتنا يا صديقى .. سنعود إلى (ألدروميد) بالبريد الجوى .

تألّقت عينا (كوندور) فى انبهار ، وهو يغمغم :

ــ (البيجاز) .. جواد (هيدا) المجنّح .

قال (نور) ، وهو يتأمل الجواد الرائع ، الذى كان

يضرب الأرض بقائمتيه فى هدوء ، ويرفرف بجناحيه فى بطء :

ــ كنت أعلم أنه هنا يا صديقى ، فلقد أتت به (هيدا) ، ولابدّ أنها أعدّته لعودتها .

غمغم (كوندور) فى توتُّر :

ــ ولكن ذراع (كوندور) ممزّقة ، وسيكون من العسير عليه أن يمتطى (البيجاز) ، فهو جواد عنيد قوىّ .

ربّت (نور) على كتفه ، وقال :

ــ اترك لى هذه المهمة يا صديقى .

عقد (كوندور) حاجبيه الكثّين فى قلق ، وهو يتطلّع إلى (نور) ، الذى اقترب من الجواد المجنّح فى حذر ، وهو يغمغم :

ــ لا تقاوم أيها (البيجاز) .. دعنا نذهب بك لأوّل مرّة فى مهمة صالحة .. حاول أن تنسى (هيدا) ومهامها البغيضة .

تراجع الجواد الطائر فى حذر مشابه ، وأطلق صهيلاً متوتّرًا ، وهو يرقب (نور) بعينين متشككتين ، وبدأت أجنحته تخفق فى بطء وترقّب .

وفجأة قفز (نور) فى رشاقة إلى ظهر الجواد ، وقبض على لجامه الذهبى فى قوّة ، ورفع الجواد المجنّح قائمتيه الأماميتين فى ثورة ، وصهل فى قوة ، ثم انطلق براكبه فى الفضاء ، وهتف (كوندور) فى توتُّر :

ــ يا للآلهة !! سيمزّقه (البيجاز) .. سيلقى به من علٍ .

* * *



وقف (كوندور) يراقب الصراع الرهيب بين (نور) والجواد المجَّنح ، وغمغم فى قلق : ــ من العسير أن ينتصر الغريب ..

١٩ ــ بطل الأساطير ..

خفق (البيجاز) بجناحيه القويين ، وهو يميل يمينًا ويسارًا ، ويعلو ويهبط محاولاً إلقاء حمله ، ولكن (نور) وضع صلابته كلها فى قبضتيه الممسكتين بلجامه الذهبىّ ، وهو يقول فى إصرار :

ــ استسلم أيها (البيجاز) .. إننى لن أتركك أبدًا ، فحياة زوجتى ورفيقىَّ تعتمد على استسلامك .

وقف (كوندور) يراقب الصراع الرهيب بين (نور) والجواد المجنَّح ، وغمغم فى قلق :

ــ من العسير أن ينتصر الغريب .. (البيجاز) قوىّ وعنيد ..

ولكن الأمل عاد يراوده ، حينما رأى الجواد يعود إلى الشاطئ ، وجناحاه يخفقان فى انتظام وقوة ، ولم يلبث أن هتف فى إعجاب وانبهار :

ــ لقد نجح .. لقد نجح الغريب .

هبط (البيجاز) على قوائمه فى هدوء ، وطوى جناحيه فى استسلام ، وقد أعلن انتصار عناد (نور) ، الذى هتف :

ــ أسرع يا (كوندور) .. أسرع .

قفز (كوندور) خلف (نور) ، على متن الجواد ، الذى لكزه (نور) وهو يهتف :

— هيًّا أيها (البيجاز) .. أطلق جناحيك بكل قواهما ..

وانطلق الجواد الطائر يشق سماء كوكب الأساطير .

★ ★ ★

تضاعف فزع أفراد الفريق ورعبهم ، وهم يتطلّعون إلى الغوريلّا الضخم ، الذى حدجهم بنظرات وحشية من داخل قفصه الخشبى ، وغمغمت (سلوى) ، وقد جف لعابها من شدة الفزع :

— أين (نور) ؟ .. لماذا لم يصل حتى الآن ؟

انهار (محمود) من شدة فزعه ، وغمغم (رمزى) فى شحوب شديد :

— أتعشّم أن يصل فى الوقت المناسب ، ليجمع ما يتبقى من أشلائنا .

ارتجف صوت (سلوى) ، وهى تغمغم :

— ولكن الغوريلا حيوان نباتى .. أليس كذلك ؟

تمتم (رمزى) فى توتّر :

— هذا صحيح بالنسبة لكوكب الأرض يا (سلوى) ، ولكن ملامح هذا الغوريلا تؤكد العكس فى كوكب الأساطير .

توقّف شعب (أندروميد) فى هذه اللحظة عن رقصاتهم الهمجية ، وتصاعدت صيحاتهم ، وهم يحلّون الأربطة التى تغلق القفص الخشبى ، ويهرعون إلى خارج الساحة الكبيرة ..

أطلق الغوريلا زمجرة عالية قوية ، ثم دفع الحيوان باب القفص الخشبى ، وغادره فى بطء ، وهو ينقل عينيه بين أفراد الفريق المقيدين ، وجموع شعب (أندروميد) ، التى أخذت تطلق صيحات وحشية ..

التهب الغوريلا الجائع بالصيحات الثائرة ، وشاركها بزمجرة أخرى قوية ، ثم تقدّم نحو أفراد الفريق ، وهو يكشّر عن أنيابه الحادة القوية ..

وفجأة تلاشت صيحات شعب (أندروميد) ، وارتفعت رءوسهم إلى السماء ، وسرت بينهم همهمة مرتجفة مذعورة ، وتوقّف الغوريلا ، وأدار عينيه إلى السماء بدوره ، ثم أطلق صرخة قوية ، وهو يضرب صدره الضخم بقبضتيه ، وهتفت (سلوى) فى انبهار ، وهى تتطلع إلى السماء :

— ربّاه !! ياله من مشهد !! ياله من مشهد !!

التقت عيون الجميع عند (البيجاز) ، الذى كان يخفق

بجناحيه فى قوة ، وهو يعبر سماء الكوكب نحو الساحة ، وعلى متنه (نور) و (كوندور) ..

كان مشهدًا رائعًا حقًّا .. يليق بكوكب الأساطير ..

* * *

هبط (البيجاز) وسط الساحة ، وقفز (نور) من فوق متنه ، وهو يمسك سيف (كوندور) فى قوة ، ويواجه الغوريلا الضخم ، الذى زمجر فى وحشية ، وعاد يضرب صدره بقبضتيه ، وكشّر عن أنيابه القاتلة ، وانقضَّ على (نور) .

صرخت (سلوى) فى رعب ، حينما انقضّ الغوريلا على (نور) ، وتحرَّك شعب (أندروميد) محاولاً الفتك بـ (نور) ورفاقه .. ولكن (كوندور) صاح فى قوة وصرامة ، من فوق ظهر الجواد المجنّح :

ــ فليبق كل منكم فى مكانه .. لقد ذهبت (هيدا) .. ذهبت إلى الأبد .

أثارت عبارته دهشتهم حتى الأعماق ، فتسمّروا فى أماكنهم ، وهم يحدّقون فيه بذهول ، أما (نور) فقد تلقى الغوريلا الضخم بسيف (كوندور) القوىّ ، ومزّق عضلات صدره بالنصل الحاد ، فتراجع الغوريلا وهو يزمجر فى ألم ، ثم

ضاعفت جراحه وحشيته ، فانقضَّ على (نور) بمزيد من الوحشية .

قفز (نور) جانبًا ، وتفادى مخالب الغوريلا القاتلة ، ثم دار حول نفسه فى مهارة ورشاقة ، وهوى بسيفه على عنق الحيوان الشرس ..

أطلقت الغوريلا حشرجة عالية مخيفة ، وترنّح لحظة ، والدماء تتدفّق من الجرح الغائر فى عنقه ، ثم اندفع بعنقه نصف المقطوع نحو (نور) ، وزمجر زمجرة أخيرة ، ثم سقط جثة هامدة تحت قدمى بطلنا ، وضجّ شعب (أندروميد) بالهتاف للبطل الذى أتى من بعيد ، ليعيد الحق والعدل والنظام إلى كوكبهم .

أسرع (نور) نحو رفاقه ، وحل وثاقهم فى لهفة ، وتفجّرت (سلوى) بالبكاء ، وهى تلقى نفسها بين ذراعيه ، وتهتف فى حرارة :

ــ كنت أعلم أنك ستأتى .. كنت أعلم يا (نور) .

ربّت على كتفها فى حنان ، وهو يقول :

ــ لقد انتهى كل شىء ياعزيزتى .. انتهى كل شىء بسلام

* * *

٢٠ ــ الختام ..

توقفت خيول جيش صغير ، مكوّن من (كوندور) ورجاله ، برفقة أفراد الفريق ، أمام الصاروخ الذى بدأ عده التنازلى ، استعدادًا للعودة إلى كوكب الأرض ، وتطلّع رجال (كوندور) إليه فى ذهول وخوف ، فى حين أشار هذا الأخير إلى الخوذة التى تحملها (سلوى) تحت إبطها ، ثم إلى رأس (نور) ، وكأنه يطلب منه أن يضعها ، يمكنهما التحدّث فى لحظة الوداع ، ولكن (سلوى) ابتسمت ، وقالت :

ــ لا يا (كوندور) .. لقد وجدت حلاً أفضل .

ثم وضعت الخوذة على رأس (كوندور) ، وقالت :

ــ لقد أجريت تعديلاً بسيطًا فى اختراعى ، وهو يصلح لك الآن يا (كوندور) ، وهكذا سيمكننا جميعًا أن نشكركم على ما فعلته من أجل (نور) .

شعر (كوندور) وهلة بالدهشة ، حينما أمكنه فهم حديث (سلوى) ، ثم ابتسم ، وقال :

ــ ماذا تسمين هذا الشىء ؟

ابتسمت وهى تقول :

ــ (نشوى ٢) .

عقد حاجبيه الكثّين ، وكأنه يحاول استيعاب الاسم الجديد ، وتأمّل (نور) زميليه (رمزى) و (محمود) ، وهما يعيدان أجهزة الفحص إلى الصاروخ ، ثم التفت إلى (كوندور) ، وقال :

ــ لقد أصبحت أمام كوكبك فرصة ليحيا مليون سنة أخرى يا (كوندور) ، ولكن من الضرورى أن تظل (الأرض المحرّمة) منطقة محظورة ، حتى يصل كوكبك إلى درجة الحضارة الكافية لإدارة شئونه ، وللتحكّم فى مقر سادة الكوكب .. أنتم اليوم سادة كوكبكم ، ومن يدرى ؟ .. ربما أمكنكم فهم كل هذا بعد زمن قريب ، ولكن حذار أن تفرّط أو يفرّط شعبك فى أثمن ما حصلتم عليه يا (كوندور) ..

صمت لحظة ، ثم أردف فى قوة :

ــ الحرية والسيادة .

ابتسم (كوندور) فى إعجاب ، وقال :

ــ لن ينسى شعب (أندروميد) كلماتك هذه أبدًا أيها الغريب الشجاع .

قال (نور) فى لهجة صادقة :

ــ وأنا أيضًا لن أنسى قوة (كوندور) ، وصرامته ، وصلابته ، وشجاعته ، وبأسه .

تصافحا فى قوة ، ثم قال (كوندور) ، وهو يشد على يد (نور) :

ــ بل نحن الذين سنذكر دومًا قصة الغريب القادم من السماء ، الذى هزم أعمدة الموت ، واقتحم (الأرض المحرّمة) فى جسارة ، وقاتل وحوشها ذات الرءوس البشرية ، وعرائس البحر المتوحّشة ، و (السيكلوب) ، والحية ذات الثلاثة الرُّءوس ، ودحر سادة الكوكب ، وروّض (البيجاز) ..

صمت لحظة ، ثم استطرد فى قوة :

ــ لن ننسى قصة الرجل الذى هزم (هيدا) ، التى لا تموت ، وستتناقل الأجيال قصتك ، فقد كنت عظيمًا .. لقد كنت .. كنت ....

أُرتِجَ عليه ، وكأنه لا يجد تعبيرًا مناسبًا ، فهتفت (سلوى) :

ــ أسطورة .

ابتسم (كوندور) ، وقال :

ــ هذا اللفظ يروق لى .

ثم أردف فى حزم :

ــ سنطلق على قصتك اسم (الأسطورة) أيها الغريب .

ربَّت (رمزى) على كتف (نور) فى هذه اللحظة ، وقال :

ــ هيَّا يا رفاق .. سينطلق الصاروخ بعد قليل .

تصافح (نور) و (كوندور) فى قوة ، وقال (نور) فى انفعال :

ــ إننا لن نلتقى مرة ثانية يا صديقى ، ولكن اسمك سيظل محفورًا فى قلبى أبدًا .

أومأ (كوندور) برأسه ، وقال فى قوة :

ــ وكذلك أسطورتك يا صديقى .

تردّد لحظة ، ثم ابتسم ، وقال :

ــ أقصد يا أخى .

أسرع (نور) و (سلوى) إلى الصاروخ ، الذى بدأ ينفث دخان وقوده الأمينى ، وسألها (نور) :

ــ لماذا أطلقت على ماحدث اسم الأسطورة يا(سلوى) ؟

ابتسمت ، وهى تقول :

ــ ألم تدرك المفارقة العجيبة التى حدثت هنا يا (نور) ؟

سألها فى دهشة :

ـ أية مفارقة ؟
اتسعت ابتسامتها ، وهى تقول فى فخر :
ـ لقد كنت أنت أول أسطورة ، فى كوكب الأساطير .
وانطلق الصاروخ عائدا إلى كوكب الأرض ..
وانتهت الأسطورة ..

[تمت بحمد الله]

* * *

رقم الإيداع ٣٢١٥